

شكرًا لمن أهدى إلي عيوبي

أ.د. صلاح جرار

تلقّت مجلة "أقلام جديدة" العديد من الملحوظات والتعليقات والاقتراحات من الكتّاب والأدباء والنّقاد والصحفيين من الأردن والدول العربية، ما بين مشجّع ومتضامن ومنتقد، وقد نشر بعض هذه التعليقات في الصحف المحلية والمواقع الإلكترونية.

والمجلّة، إذ تفتح ذراعيها لجميع التعليقات والاقتراحات، تتمنّى أن يتواصل هذا الاهتمام من الأخوات والأخوة الكتّاب والنقّاد وسائر القرّاء، وأن يستمرّ هذا الحرص على نجاحها وتحقيقها لرسالتها النبيلة في خدمة الشباب الأردني والعربي ورعاية إبداعاتهم واحتضان مواهبهم.

وفي هذا السياق أودّ التنويه إلى أنّ المجّلة لن تضيق ذرعًا بأي نقدٍ يُوجّه إليها ما دام الهدفُ من ورائه هو مصلحة المجّلة وتطويرها والارتقاء بمستواها.

إنّ معرفة آراء القرّاء بهذه المجلّة، هو ما نسعى إليه بالفعل، لأنّنا من خلال هذه الآراء نستطيع أن نصحّح مسيرتنا ونفيد من كلّ اقتراح من الاقتراحات التي تُقدم إلينا، فالنجاح في أي مشروع لا يمكن أن يتحقّق من خلال التفرّد بالرأي، بل لا بدّ له من تعدّد الآراء واختلافها والتقائها وتفاعلها وصولاً إلى صيغة

يجري التوافق عليها، وما دام هنالك آراء جديدة فإنّ ذلك هو أهمُّ ضمان لتطوير المجلة.

وقد لاحظ عددٌ غير قليل من قرّاء هذه المجلة ومتابعيها أنّ هناك تحسّنًا ملحوظًا وتقدّمًا مطردًا في كلّ عدد جديد عن الأعداد التي سبقته، وهذا دليلٌ على أنّ هيئة التحرير تولي اهتمامًا كبيرًا لكلّ ما تتلقّاه من الملاحظات والتعليقات والمقترحات البنّاءة.

وعلى الرغم من كلّ ما يصلنا من تعليقات الأخوات والأخوة القرّاء، إلاّ أنّنا ما زلنا نشعر أنّنا بحاجة إلى المزيد من هذه الآراء والمقترحات، وعليه فإنّنا نرحّب كلّ الترحيب بمطالعات الأخوات والأخوة من الكتّاب والنقاد والصحفيين ونتمنى أن لا يضنّوا علينا بما يرونه من إيجابيات أو سلبيات في أعداد هذه المجلة، وما يقترحونه لتطويرها والارتقاء بمستواها.

وإلى جانب ذلك فإنّ هيئة التحرير ترحّب بالمقالات النقدية التي تتناول نصًّا بعينه منشورًا في أعداد هذه المجلة بالنقد والتحليل، من باب الحرص على توجيه الأقلام الشبابية الجديدة ومساعدتها في صقل مواهبها وإبداعاتها.

وبذلك تغدو مجلة "أقلام جديدة" إنتاجًا جماعيًّا ومشروعًا وطنيًا يشارك به الحريصون على إطلاق الطاقات الشبابية العربيّة في مجالات الفكر والأدب والثقافة.

والله الموفّق،،

الكاتبة الواعدة حنين داود:

عالمي الكتابي: ثورة وجنون!

مدير التحرير

كتابتها مختلفة، شيء يشبه قصيدة النثر، مع شيء من السرد. مطعّم بالتأمل، تبحر في الداخل، داخل النفس وبواطنها ودهاليزها الخفية، لكن لها عيناً على الواقع، تراه، تُحدّق به، تندهش منه. أو تغضب. وتكتب على سجيتها.

في العدد السادس من المجلة كتبت حنين داود تحت عنوان "أرضٌ مهجّرة" تقول:

لون غريبٌ يعتري مرحليتي الملفتة هذه

تفتحٌ لا بأس به

ولا بأس بأن يكون التمرد أبعد

ولا بأس بالهدوء كذا

عندما جاءت إلى مكاتب المجلة


حنين داود

مع حنين داود حول بداياتها مع الكتابة، وحول العلاقة

قلت لها: حدّثيني عن نفسك، عن بداياتك مع الكتابة، وما الدافع لها؟ حديثها الذي بدأته كان مثل كتاباتها.

- قالت: أحسّ أنني مختلفة فأنا أرى ما لا يراه الآخرون من تفاصيل، أشعر أن الناس بشكل عام مصابون "بالكوما"، أحببت الخروج من الصمت المهيمن، ومن المكان الضيق الذي ينحشر فيه الناس. الذين يُحبّون أن يكونوا داخل السرب.

عندما يتكلم هؤلاء المبدعون الجدد، تحسّ أنهم خلقوا ليكتبوا لا ليتحدثوا. أو لعل التعبير بالكتابة لديهم أقدر على نقل ما يريدون قوله.

لذلك تحاورنا

بين دراستها للطب وموهبتها الكتابية، وتصنيفها لما تكتب، وماذا تريد من الكتابة. وهل الأجناس المعروفة قادرة على نقل ما تريد قوله. إلى آخر هذه التشعبات التي ينزاح إليها الحديث. ثم طلبنا منها أن تكتب ما تودّ قوله بنفسها. وهذا ما كان:

- **سماء أقرب وأغنيات**

لم أعتد يومًا كتابة المقالة. لكني اليوم في حديثي عن كتاباتي القصيرة المتقطعة. لي أن أطعّم هذا المقال بحسّ ليس لي أن أنحّيه.

فالبداية:

إني لأذكر جيدًا كيف تراوحت وجوديتي بين العدم والاشتعال، إني لأذكر ذلك جيدًا، وفي العدم، قبل سنة واحدة في مرحليتي الجامحة ذي، أومئ إلي معطياتي آنذاك: هدوءٌ فارهٌ، تعبٌ مرضيٌّ، فشلٌ أكاديمي، هلوساتٌ متحفظة، هذيان أعراف يُربكني، دروبٌ دائرية، خيالٌ يقاوم الحصار بدندنة، أجسادٌ تتسارع تتهاوى، حياةٌ لا تشبه الحياة في شيء، فالعالم بأكمله فيلمٌ صامت أنثر أنا خلفيته الموسيقية كيف أشاء.... أو لا أنثرها أبدًا. عناصرُ مبعثرةٌ احتشدت لتُلغيني أو لتصنعني، لم أكن لأعرف آنذاك.

ومن هنا بدأت بحياكة عدمي بأدواتي السوداوية الخاصة، فلا بأس بالكثير من مثبطات الحسّ كأنْ تُسقط فقه الرائحة من قاموس جيبك، كأن تكون من أنصار الوسطية الحسية، أو كأن تُغرقَ نفسك عنوةً في مظاهر الحياة الجديدةِ الشاحبة التي ما أغرتك يومًا.

وبعد كل محاولاتي الوصول إلى ذلك الركود الحسّي الباهت، وبعد كل محاولاتي لإقحام نفسي في "الحذر": التيار الرائع، أفقتُ ذات صباح لأرى أن السماء ما زالت أقرب، والأفق ما زال أبعد، وما زال التوق إلى الطيران الصباحي هناك، وما زال زخم المكان لديّ يُعنى بالرائحة أولاً وما زالت الرائحة لديّ تلتحم بموسيقى الزوايا لتُثري مذهبي، وما زالت قدماي ترفضان أن تلامسا الأرض.

وما زال..... وما زال..... فكانت وجوديتي كما أصفها دائمًا ثورة مطلقة وشرقية منتشية حيث لا تضاد، ففي وجوديتي ما ليس بيدي، اقتراب من الأرض، توقٌ للسماء حيث لا فرق بينهما وهلوساتٌ، تجلٍ مطلق أو لربما دمارٌ مطلقٌ وليس في وسعي أن أصف حالتي بأبعد من هذا الإطار... فاعذروني.

- **الطب والأدب: مذهبان**

– مذهبان ورؤيتان لا أجد علاقة بينهما، ولكن أجدُ بالجمع بينهما مراوحة بين الواقعية بأبعادها الدرامية والرومانسية بعناصرها المتوهجة، مراوحة

بين الاتزان والجنون.

- **أمّا كيف أُصنف كتاباتي؟!**

– فهو سؤالٌ لا يعنيني كثيرًا، ففي رؤياي لعالم الكتابة خاصتي أراه مُؤججًا بالثورة والجنون، فأسقط منه كل عناصر الحصار فأُنحّي عنصر المعايير، أُنحّي التصنيف، المسميات، القواعد، هكذا أرى حيزي الخاص مثاليًا أو ناقصًا، مجردًا من محيطه المنهك.

- **ماذا أريد من الكتابة؟!**

– ما أريده من الكتابة هو أن أجعل "الحصار علنيًا" هذا جلّ ما أريد، ففي الحصار المعلن تتفجر المقاومة الفكرية بدلاً من أن نؤمن أن حالة الخدر العام هي حالة طبيعية كما هو الحال الآن... واستعين بما قاله محمود درويش في وصف المحيط العربي في كتابه حالة حصار: "لنا أخوةٌ خلف هذا المدى. أخوةٌ طيبون، يحبوننا، ينظرون إلينا ويبكون، ثم يقولون في سرّهم!

"ليت هذا الحصار هنا علني" ولا يكملون العبارة: "لا تتركونا وحيدين.. لا تتركونا".

- **هل للأجناس الأدبية المعروفة أن تستوعب ما أودّ قوله؟!**

– بالتأكيد، لها ذلك، ولكنَّ السؤال الأهم: هل للأجناس الأدبية المعروفة أن تطرح ثورتي، موسيقاي الداخلية بالحدة ذاتها؟! وإجابتي هي لا.

- **ماذا أقرأ وبمن تأثرت؟**

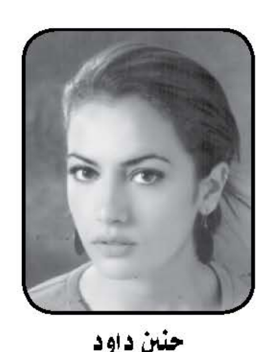
– أقرأ دوريًا لمحمود درويش، أقرأ كذلك لجبران خليل جبران، مي زيادة وغيرهم وبعض الروايات، وبصراحة تامة لستُ قارئة نهمة. ولي أن أسأل نفسي السؤال الثاني بصيغة أخرى وهي: بماذا تأثرت؟!

وفي الإجابة أجد وصفًا لعالمي الخاص عنصرًا عنصرًا، فلفيروز التي ترفد الفجر ببرودته المثيرة. ما يكفي لإيقاظ نزعة الرغبة في واقعي، فبها تكتب أناملي الموسيقى، وللكلثوميات التي ترفد مسائي الشرقي سماءً خاصةً، وبالقليل من موسيقى الجاز التي ترفد حسّيتي شبه حضارة،... لروافدي كلها في عتمة هذا العالم المنهك، سلامٌ يُبعثر جوهره فيضيء لحظيًا زوايا المكان، ولهذا العالم مني وقد اغرورقت أجزائي بما لا أعي لوحةٌ غريبة الصفات، بوهيميةٌ، منتشيةٌ، غير مكتملةٍ، فليراها كلٌّ برؤياه.

- **حنين نعيم داود: طالبة السنة الثالثة في كلية الطب. نقدمها لقرّاء أقلام جديدة ونسلّط عليها الضوء باعتبارها قلمًا متميزًا موهوبًا نأمل أن يكون لها شأن في المستقبل ككل الموهبين المميزين الذين تحتفي المجلة بهم.**



نص



لنا ثلة الحالمين

حنين داود

"ولهؤلاء" الذين لا يشعرون بالسعادة الباردة

"لي" أنا

وجوديةٌ متعبةٌ تحدّها الخرافة من كل الجهات

لي ولك أيّها الغريب، يا غريبي

لا أعرف، لماذا الآن بالذات يبدأ العزف الشرقي

المعتاد...

لطالما كان مسائي المُنحى ولكنّه اليوم أجمل

أشبه بالتداخل المجرد بين روحي والفرح

روحي كائنٌ، ليس كائنًا

شيءٌ يشبه رائحة العطر والغبار

شيءٌ يُعيدني إلي أصوليتي، حيث لا أصولية لي

لا أنا هنا، لا أنا هناك

أرضٌ مهجّرةٌ، أنا القابلة للتداعي، السقوط، النهاية

ولا شيء يشبه عينيك في كلِّ هذا....

ولا شيء يرجعني إليك في كلّ هذا

«سوى شتاءٍ أندلسي المنحى ورجع الصدى

وصوت خيولٍ في ذاكرة إخراجية خاصة»

تتخللني هذه العناصر بقوة، تأخذني إلي حيث تريد أنت بقوة،

تصنع مني شبه حضارة رمز وجوديتها عيناك.



خورشيد دلي *

الثقافة العربية .. وأزمة النموذج

بين الذين يدعون إلى ثقافة عربية متحررة بالتخلص من قيم الماضي التاريخية، والذين يدعون إلى ثقافة عربية مستمدة من الماضي بالرجوع إلى التراث واتخاذه إطارًا مرجعيًا لبناء الحاضر والتوجه نحو المستقبل تكمن أزمة الثقافة العربية في هويتها الحضارية وتناقضاتها المختلفة، وهي أزمة تُعبّر بشكل أو بآخر عن أزمة النموذج السياسي العربي.

من يدقق في بنية الثقافة العربية، سيجد أنها تشكل مزيجًا من التيارات والرغبات السياسية والأيديولوجية، كما أنها خليط من التوجهات والممارسات السياسية المتباينة لا تضيف إلى الواقع الفكري -السياسي سوى المزيد من التعقيد والغموض وتفاقم الأزمات مع الزمن، فهي ثقافة تبحث عن نفسها، عن ذاتها، في التيار الأيديولوجي والنموذج السياسي بعيدًا عن غاياتها الحقيقية في البحث عن الفرد -الإنسان والمجتمع- الأمة، ولتحقيق ذهنية جديدة وأدوات جديدة للتفكير والسلوك في مواجهة التحديات الجديدة في عصر الانفتاح الإعلامي والثورة المعلوماتية والتكنولوجية والعولمة التي تحمل معها معالم الثقافة الواحدة لتحل محل الثقافات المحلية.

في الواقع، يمكن القول إن لأزمة الثقافة العربية كما تحدثنا عنها علاقة بالزمن، أي أنها تتجاوز زمنها المعرفي، تتجاوز الحاضر العربي بكل

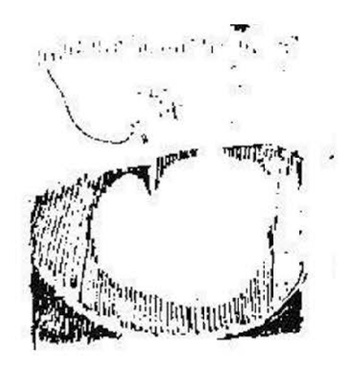
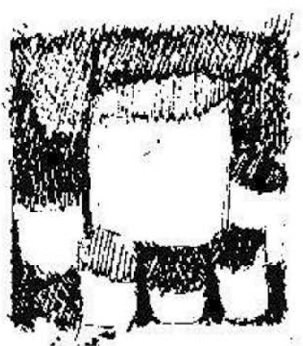
* كاتب وإعلامي - سوريا.

تعقيداته، وتقفز فوق القضايا الراهنة التي تشغل هذا الواقع، لتبحث عن مشروعها السياسي أو الأيديولوجي، إمّا في (الماضي الخالد) حيث الأمجاد والبطولات، أو في الأخذ بالنموذج الغربي الليبرالي الجاهز بعد فشل النموذج الاشتراكي السابق، وذلك كدواء لمعالجة الأزمات التي تتخبط بها الثقافة العربية، دون أن تملك هذه الثقافة القدرة على حلّ إشكالياتها الفكرية والسياسية الأساسية لتحاكي الآخر من منطق الاختلاف والتعدد والتنوع الحضاري، فهي إمّا أن تبحث عن مقاومة ثقافية من نوع (الإسلام ضد المسيحية -الشرق ضد الغرب- القومية ضد التعددية..) أو أن تبحث عن نموذج مستورد للأخذ به عبر أدواته ومفاهيمه الفكرية للخروج من أزمتها وإشكالياتها.

الواقع، ينبغي النظر إلى أن ثمّة خيطين دقيقين لتأرجح الثقافة العربية بين التمسك بالماضي وبين التطلع إلى الأخذ بالنموذج الغربي الليبرالي الجاهز.

الأول: أن الثقافة العربية الراهنة، هي ثقافة غير منجزة حضاريًا، فهي نتاج فشل التجارب الفكرية -الأيديولوجية العديدة، بدءًا من فكر مرحلة النهضة ومرورًا بالمشاريع القومية والتيارات اليسارية بشقيها الاشتراكي والشيوعي، وأخيرًا فكر التيارات الدينية المتشددة ولا سيما الأصولية منها، وبالتالي فهذه الثقافة فشلت في إيجاد هوية حقيقية لها على مستوى الفرد والمجتمع والأمة، فهي تحمل كل التناقضات، ولا تحمل القدرة على معالجة أزماتها، وعليه تأخذ منحى استهلاكيًا سريعًا للتعويض عن عجزها وفشلها، فهي ترى أنه من السهل الأخذ بالتراث والماضي ومواجهة الواقع المنهار بالمقولات الفكرية القديمة التي تحمل معاني العزة والكرامة والشرف في مواجهة انحلال النسق القيمي للأخلاق.

في المقابل، فإن دعاة الأخذ بالنموذج الليبرالي الجاهز يرون من السهولة القفز فوق التراث ومضامينه بل وحتى الحاضر، والأخذ بمفاهيم النموذج الليبرالي، عبر الانفتاح الثقافي واستخدام الأدوات الفكرية والمعرفية والتفاعل الحرّ المفتوح مع الثقافات الأخرى بعيدًا عن الخصوصية، وهنا ينبغي القول: إنه من الواضح أن القضية المشتركة بين الطرفين أو الاتجاهين هي


السهولة والنزعة الاستهلاكية السريعة لإمكانية إيجاد تصور أو مخرج لأزمة الثقافة العربية وحلّ إشكالياتها.

الثاني: الإنسان هو العنصر الغائب في هذه الثقافة، سواء في نزوعها نحو الماضي أو تطلعها إلى الأخذ بالنموذج الليبرالي الجاهز، ذلك أن الإنسان في البلاد العربية لا يعنيه من الماضي إلاّ ما يقدمه له هذا الماضي من تقنيات لإنجاز قضايا وإشكاليات الواقع الراهن وإيجاد الناظم العام لهوية الفكر والثقافة، كما أن الليبرالية بوصفها نموذجًا جاهزًا لا يمكن أن تقدم لهذا الإنسان أكثر مما قدمه النموذج الاشتراكي السابق الذي قام على شعارات العدل والمساواة والحرية الحقيقية...الخ، وبهذا المعنى، لن تكون الليبرالية هنا عبارة عن بلسم للجروحات العربية الكثيرة بحكم التفسخ الأيديولوجي.

وفي الواقع، إن المشاريع الثقافية لا تقدم كوصفات طبية، كما لا يمكن معالجة قضايا الواقع بالرجوع إلى الماضي أو في الأخذ بالنموذج الليبرالي الجاهز، أو بأي نموذج آخر مستورد، لأن القضية الجوهرية والمهمة هنا، هي أن الواقع الثقافي الراهن بما يحوي من تناقضات تيارات فكرية متباينة إلى حد الصراع يجب إنجازه، والشرط المعرفي لإنجازه هو الإنسان قيمة أولاً وأخيرًا، والحرية شرطًا للتنوير والعقل، والديمقراطية إطارًا للتأسيس والمشاركة، كل ذلك على أساس امتلاك الزمن المعرفي لثقافة مفتوحة على المستقبل، الزمن المعرفي الذي لا ينكسر بمجرد انهيار النموذج السياسي أو الأيديولوجي الذي هو مشروع مختلف عن الثقافة وغاياتها الحقيقية.





ثلاثة كتب عراقية تُقرأ مرتين

عبد الستار ناصر*

منذ وقت ليس بالقصير، كانت ثمة رغبة تراودني في العثور على كتاب عراقي يمكن أن يُقرأ مرتين، ذلك على ما أرى أقرب ما يكون إلى المستحيل، أيّ كتاب هذا -وهناك آلاف الكتب أمام الذاكرة وآلاف خلفها- سيرغمك على الرجوع إليه؟

على ضوء مصباح خافت، تسللّت أصابعي إلى "مالك بن الريب واعترافه الأخير" كانت عمّته الحولاء على فراش موتها، حزينة على ابن أخيها، فهو محكوم بالإعدام، وسوف يذهب (الأمير) إلى بغداد، فهو وحده القادر على (فك المصلوب)!

تذكّرت فورًا ما قرأته مسلسلاً في مجلة (الأقلام) وبرغم هذا لم أتوقف عند الفصل السادس، كنت قد انتهيت من الصفحة ٢٠٢ بعد ما أدى الشاعر يوسف الصائغ دور (عبد أسود) في مسرحية لم يغلق الستار عليها رغم مرور ما يزيد على أربعين سنة.

كان الشعر مُتوّجًا به، وكان الصائغ بدوره مُتوّجًا به وعليه، عندما فاز بجائزة أفضل القصائد، هو الذي اكتشف البحر (البسيط) في صباه ونام لصق أمواجه البهية في واحد من أجمل فصول اعترافاته، بدا لي أنني أحلم حقًا حين قالوا إنني فزتُ بالجائزة الأولى واعتراني خوف فظيع من أن أستيقظ من حلمي (صفحة ١٨٥).

* * *

ملتهبٌ ورق الكتاب باعترافات، أجملُ ما فيها أسلوبُها العذب الصافي، ليس المهم أن تكون صحيحة أو صادقة -وهي

* قاص وروائي عراقي مقيم في الأردن.

كذلك فعلاً- إذ لا شأن بالإبداع في تأريخها، فهي هناك، في المكان الخفيّ المتوهج من القلب، لا تنفع معها نصائح الدنيا كلها وقد لا تقترب من نبضها إلاّ بما يقترحه الشاعر نفسه أو يأمر به، يقول "ما استطعت قطّ، ولن أستطيع أن أفكّر بمخّي وحده، ثمة في كياني أدواتٌ للتفكير، اعتادت أن تستجيب للحياة، حتى خُيّل لي أحيانًا أنها هي المُخّ" (ص١٦٨).

ثم تأتي (الشراهة) في الفصل الثامن، إعلانًا عن تلك الأدوات التي تُفكر أيضًا، كم هو ممتع وطريف أن تكتشف منذ الطفولة "أن هناك خطيئة بين الخطايا اسمها الشراهة" شرط أن تتفرع أو تتشعّب تلك الشراهة الشيقة من الطعام إلى القراءة إلى الرسم إلى الكتابة إلى الحياة، لقد اكتشفت، بقليل من الأسى وكثير من اللاّمبالاة، أنني لا أملك ولن أملك وسيلة أتحرر بها من شراهتي إلاّ بالاستسلام لها حدّ الانتحار (ص١٣٦). ويكون ضحيتها برغبة تطارده، إذا ما جئت الحقيقة ستراه هو الذي يطاردها منذ نشوء الغريزة -غريزته- حتى اليوم.. إنها غريزة الإنسان الصادقة العسيرة، تكون أكثر صدقًا وصعوبة مع الكاتب المبدع الذي يرى شعاب الحياة أكثر مما يرى سواه، تلك مشيئة الإحساس بالأشياء، ربما هي نسبة ما يرى هذا الكائن الشعري ونسبة ما لا يراه القرين!

وفصول الكتاب لا تبتعد كثيرًا عن طغيان تلك الشراهة الجميلة، إنها تنتقل من حالة اللاّوعي بها إلى حالة التفكير بمصيرها ومصيرنا معها، رحت أقرأ يوميًا من الصباح إلى المساء، وأنا لا أصدق أن هناك متعة تشبه المتعة التي أعيشها، كنت أقرأ وأنا مسحور بالبطولات والخوارق واللغة والأسلوب والحب والكراهية والأسماء وعالم الآلهة والحروب والعشق (ص ١٣٢).

* * *

يوسف الصائغ في "الاعتراف الأخير لمالك بن الريب" (الجزء الثاني) والمطبوع على حسابه الخاص عام ١٩٩٠ يكتب أفضل دواوينه الشعرية، ربما يشكو هذا الديوان من الوزن كما في الفصل الحادي عشر، والقصيدة لا تكون قصيدة إلاّ إذا كانت موزونة، كما أخبره (فرج الأعور) ذات يوم، وربما سيكتب الصائغ "الحب أمرضني، والحب داواني، والحب بصّرني، والحب أعماني" أول بيت موزون في تأريخه الشعري، لكن تبقى فصول هذه السيرة الذاتية على رأس القصائد، لا يمكن أن تقول إن (القديّس آرسين لوبين) أجمل أبيات الكتاب، لأنك سوف تقرأ بعد قليل فصل (الاعتصام) الذي يتألق فيه الشاعر وهو ينقل مشاعرنا إبّان العدوان الثلاثي على مصر العربية، تلك المشاعر النقيّة الثائرة التي كدنا ننساها عبر بحور

السياسات المتناقضة، ثم يقفز بك فورًا إلى الفصل العاشر تحت عنوان (المحامي) ليكشف الكثير من طعم الصبا وسؤاله -أول مرة- عن هذا الإخطبوط الجبار الذي يسمونه المستقبل والذي ما كان يعرف عنه أي شيء، رغم أنه في الرابع الإعدادي، حتى أسعفته الذاكرة وهو يرى (يوسف وهبي) على شاشة السينما يصرخ صرخته الشهيرة "يا حضرات القضاة، كانت هناك فتاة زجّت بها المقادير في صالات الرقص" (ص١٦٠). فيقرر أن يكون محاميًا.

والذاكرة لا تأخذ عادة من الماضي إلاّ النزر القليل، وتبقى مهمة الخيال زوجة مخلصة لتلك الذاكرة المتموجة العجوز، تدفعها صوب المزيد من الحفر والتنقيب واكتشاف الخفايا التي تنام -منذ وقت بعيد- تحت ركام من الأيام والشهور والسنوات المعتمة حينًا والمضيئة حينًا آخر.

ويبدو أن ذاكرة الراحل يوسف الصائغ -عبر الجزء الأول والثاني من اعترافاته الأخيرة- كانت حاضرة بين يديه وأمام عينيه، ما إن يكتب أكثر حتى يتذكر أكثر، وهنا، لابد من التذكير أن ثمة فروقًا جسيمة في الإحساس عندما نقرأ هذا الكتاب مسلسلاً في مجلة ما، عمّا سينتابك من إحساس وأنت تقرأ الكتاب ذاته كاملاً بين يديك، ذلك هو ما يقال اعترافاته عن القصيدة أيضًا؛ إذ كيف يمكن أن تقرأ اليوم شطرًا منها لتأتي على شطرها الثاني غدًا؟ وقد رأيتُ بنفسي بعد أن قرأت اعترافاته مرتين، كيف تعلّم يوسف الصائغ أن يصطاد القارئ بهدوء ودونما ضجة كما يفعل بعض الشعراء (الكبار)!

* * *

الكتاب الثاني الذي قرأته مرتين، جاء بعنوان "أوراق باريسية" لمؤلفة كاظم المقدادي، وقليلة هي الكتب التي تظهر باللغة العربية عن أدب الرحلات أو عن مشاهد وانطباعات المغتربين من العرب.

كذلك الحال مع الكاتب العراقي، فهو لا يكتب عن تجاربه في السفر إلاّ داخل هيكل قصصي أو روائي، أما أن يكتب عن تلك الرحلات كما كانت -دون رتوش أو ماكياج- فهذا ما لم يفعله سوى عدد جدّ قليل من الكُتّاب أذكر منهم محمد شمسي في كتابه الجميل ألف ميل بين الغابات -سنحكي عنه بعد قليل- الذي كتب بعده مباشرة كتابه الثاني عن التجارب نفسها تحت عنوان (أرض ساخنة) وقد فُجئت بكتاب صغير أنيق، لكنه مزحوم حتى آخر صفحة بعشرات التجارب التي عاشها الكاتب تحت سماء باريس وعنوانه (أوراق باريسية) نسافر فيه إلى هناك، نقطع شوارعها بين الحروف، نصعد برج (إيفل) فوق السطور، ونغازل النساء بين الفوارز،

ثم ننام بعد منتصف الليل الباريسي وأنت تعيش كل صفحة من تلك الصفحات بشيء من الحب والشعر والجمال.

- احملوا باريس معكم!

تلك هي آخر تحية تسمعها وتراها في العيون الباريسية وعلى مدرج مطار أورلي الشهير، وعلى تذكرة السفر، إنها بداية رحلة لاحقة، لابد منها، إلى باريس، يذكرها الكتاب بكثير من النشوة، ومؤلف أوراق باريسية هو الدكتور كاظم المقدادي، عراقي في السطور، عربي في المشاعر، هو المغترب الخائف المتردد أمام كل هذا الجمال الذي يغمر النفس بلا حساب، لكنه أبدًا لا يفارق دجلة والفرات، إنهما بين عينيه وليس من السهل نسيان أزقة بغداد ومحلة (العطيفية) التي عاش طفولته وصباه بين جدرانها وجيرانها.

وعلى طريقته فيما يكتب، تراه يحاول مداعبة نفسه، تراه يتظاهر بالفرح والحرية، ويعربد على طريقته الخاصة، يتأبط النساء في شوارع ومقاهي الحي اللاتيني ويجعل من نفسه عصفورًا سعيدًا لا يعرف الحدود.

إن الفصول تتظاهر -مثل الكاتب- بأنها ستنتهي بعد سطر أو سطرين، لكن الفصول، ربيعها وصيفها وشتاءها وخريفها، تتكرر بين صفحة وأخرى، فتكتشف من خلال تكرارها كم عاش هذا العراقي من سنين طوال على أرض باريس التي لم يغادرها إلاّ وكان في طريقه إلى بغداد، ولم يفارق بغداد إلاّ وكان في طريقه إلى باريس.

* * *

توزع الكتاب على سبعة وعشرين جزءًا، بين جزء وآخر ترى نفسك فوق خارطة باريس، ما أن تنتهي من أوراق باريسية حتى يكون بوسعك أن تدور في هذه العاصمة الغريبة بلا دليل سوى كاظم المقدادي الذي عاش هناك أكثر من عشر سنوات.

إنه ينتقل بك من سان جرمان إلى الحيّ اللاّتيني إلى الشانزليزيه إلى حياة (الكلوشار) وهم نمط عجيب من الشحاذين، بعضهم شعراء وعلماء وعباقرة، لكنهم تخلّوا عن كل شيء وعاقروا الخمرة في الليل والنهار، ثم يأخذك إلى خبايا ما يجري في مترو باريس تحت الأرض، ويذهب معك إلى متحف اللوفر وحيّ الرسامين في المونمارتر، ويحكي لك عن مدن الإعلان ومقاهي الأدباء والمفكرين، ويصعد معك إلى برج إيفل ويغوص مثلك في نهر السين، ثم يتسلّق كنيسة نوتردام الشهيرة دون أن يغفل، مرة واحدة، الحديث عن تأريخ كل شبر يمضي إليه.

هذا النوع من الكتابات يجمع الطرائف إلى جانب المعلومات التي تساعد القرّاء على زيادة المعرفة، وقد يظن البعض أنها مجرد كتابات سريعة وبسيطة وليس من فن أو أدب أو إبداع فيها، لكن الأمر ليس

كذلك، إن العيش في التجربة لا يأتي سهوًا، ولا يأتي مجانًا، فقد عاش آلاف الناس حياة الغربة، لكنهم عاشوا على هامش التجربة، والمسافة بين حالة وحالة هي مسافة الوعي المراقب عند (هذا) المغترب دون (ذاك).

ثمة كلمة لابد أن نذكرها عند الرجوع إلى مادة هذا الكتاب، جاءت على لسان الناشر- منشورات العالم العربي في باريس- يقول فيها:

- إن هناك صلة حضارية قديمة بين دجلة والسين، لعل أبرزها العلاقات المميزة التي نشأت بين الخليفة العباسي هارون الرشيد وبلاط شارلمان الفرنجي والهدية التذكارية التي تحتفظ بها أوربا ترمز إلى تعطشها للمعرفة التي عمّت شتى جوانب الحياة العربية في ذلك الزمان، وكانت (الساعة -الهدية) تعبيرًا عن جانب بسيط منها.

وتنتهي كلمة الناشر بإضافة طيّبة إلى محتويات "أوراق باريسية" لكننا في النهاية لابد أن نهمس في وجدان الكاتب عن بعض السلبيات التي ضاعت من بين انتباهاته، فقد كان الجزء الأكبر من الكتاب يُعنى بالنساء ولا يكاد أي جزء منه يبتعد عن هذه الهموم التي تعطي انطباعًا عن حرمان العربي بطريقة مأساوية وأحيانًا مضحكة.

وقعت لوحة (الموناليزا) ضحية سهلة تحت قلم المؤلف دون أي سبب وفي أكثر من جزء واحد من أوراقه الباريسية، ولا أعتقد أن هذه اللوحة الشهيرة تحتاج -بعد اعتراف العالم بها- إلى نقد أو ناقد جديد، وكان عليه أن يذكرها بلا تعليق، أو يذكرها بما تستحق.

لا أدري أيضًا كيف يقول في فصل عنوانه (الأيام الأولى) أنه ظل طوال نهار كامل يبحث عن برج إيفل، مع أن هذا البرج -الذي هو من أبرز معالم فرنسا وليس باريس وحدها- لا يحتاج إلى دليل، إنه بارز ويعلو فوق السحب والغيوم أحيانًا.

ما زالت مسيرة الثقافة والمعرفة بحاجة إلى هذا الفرع من فروع الكتابة، لأن خارطة العالم ما زالت أكبر من حصرها في كتاب واحد، ومن الخير أن نعثر على أسماء أخرى تضاف إلى قائمة الباحثين عن أسرار العواصم وخبايا المدن المرسومة في الذاكرة.

احملوا باريس معكم بعد قراءة (أوراق باريسية).. إنها طريقة مبتكرة للسلام على مدينة رائعة يحبها الناس في كل مكان وهي محاولة جيدة لكاتب يمتحن نفسه في دخول عالم الأدب من خلال رحلة طويلة إلى باريس.

* * *

ألف ميل بين الغابات، هو ثالث الكتب التي قرأتها مرتين، يحتوي على ذكريات المدن، وعلى رواية قصيرة، وعلى سياحة

ورحلة عجائبية، وعلى أرض ساخنة وزواحف مخيفة، أسلوبه غريب وممتع، والكاتب نفسه أكثر غرابة، والكتاب هو الطبعة الثانية وكانت طبعته الأولى في شهر حزيران عام ١٩٧٨.

عندما أقول عن المؤلف (محمد شمسي) إنه يغامر مع الفكرة، سأعني في الوقت نفسه أن محمد شمسي يفكر في المغامرة التي صارت من صلب حياته واهتماماته النفسية والقصصية، الكتابة مع هذا الرجل المملوء بالتجارب هي لعبة مجانين، فها هو يصنع من حدث صغير عابر، ريبورتاجًا روائيًا وقضية "ليس هناك من هو أكثر مني حزنًا وربما أكثر حرجًا" وتلك هي البداية التي قد يشعر القارئ معها برغبة مسمومة لمعرفة هذا الرجل الحزين جدًا... إنها لعبة الكلمات والسيطرة عليها وذكاء اختيارها واكتشاف أثرها، إنه يراهن ضدّ نفسه أن يصل إلى القرّاء بفكرة جدّ بسيطة لكنها ذات بُعد اجتماعي خطير "أنا رجل يعيش على هامش سيئاته ويتباهى بها"!

إنها مسافة بالأميال، من بغداد إلى العمارة، أربع وتسعون صفحة تتكلم عن رجل يصارع نفسه ويرقّ عقله وهو يفكر بالمرأة التي تجلس إلى جانبه: كيف به يلامس يدها؟ كيف يصل إلى جزء من جسدها يحتك به ويزحف عليه؟ هذه الكوميديا الفاجعة المضحكة، إذا كان من الممكن ترجمتها إلى لغة أخرى في بلد أوروبي أو أي بلد آخر فإنها ستحقق انتشارًا ونجاحًا صعبًا، ذلك أنها تحكي أفعالاً لا يمكن أن تمرّ بخاطر إنسان من نهايات القرن العشرين في أية بقعة من العالم.

خمس ساعات في سيارة مزحومة بالناس، والهم الوحيد الذي يركب وجدان البطل هو أن يزحف ولو لدقيقة على جزء من جسد المرأة... إنها محنة البحث عن شيء ناقص، والمؤلف يأخذ القصة في مغامرة عجيبة أو هو كما أسلفنا، يعشق أن يغامر في فكرة من هذا النوع المدهش من الأحداث التي (قد) لا يفكر بها أحد من كتّابنا في العراق، ولعل اعتماد محمد شمسي على أسلوبه وطرافة شخوصه ومدى سخريته اللاّذعة من أول أسباب نجاحه في كل ما كتب، وقد قرأنا له فيما سبق أكثر من ديوان شعر، وقرأنا رحلاته المعروفة في أفريقيا، وجميعها تعيش أجواءه الناعمة رغم خشونة مكانها، الغريبة برغم حقيقة زمانها، والمدهشة على طول الخط، ومن المؤسف حقًا موته المبكر ولم يتجاوز الخامسة والأربعين من العمر!

كتابات الراحل هي من نوع شجيرات الورد، زهرها في الكتابة وشوكها في المعنى الذي تشعر به وراء الحروف المطبوعة، وها هو على غلاف كتابه يقول:

- هذه ليست رواية، إنما هي لعبة خاطفة تنطوي على كثير من المكر، لذا فهي كوميديا، وهي أيضًا تحاول أن تخبئ

ما تنطوي عليه، بل تهبط به أحياناً إلى طبقة جيولوجية سحيقة من النفس خارج حدود شرفنا، وفي هذا الزمن بالذات، الزمن الذي يروق لنا أننا نُنحّيه جانبًا وأن نلصق على ظهره تهمة خنق الذكريات، تبدو اللعبة غريبة وسيئة فأنا صاحبها ولا أدري بالضبط لماذا هي سيئة ولماذا هي غريبة، كل ما أعرفه أنها في لحظة غزيرة العتمة تطلق علينا الضوء فنبهت وننكمش وتحيلنا إلى كائنات أسطورية متحجرة.

– بهذا المنطق يفسّر محمد شمسي بعض ما أراد، دون أن يعترف بكل ما أراد، ذلك أنه يترك الفرصة أمام الذهن والإحساس والتجربة لتشارك في مهرجانه الصغير المصنوع من مفردات صغيرة وجُمل قصيرة، تنطق جميعها بمعنى أكبر وغاية أبعد وإحساس أعمق، وإذا كان المؤلف على علم بكل هذا، نكون نحن القرّاء قد عثرنا على كاتب يستحق أن نقرأ له ونُردد اسمه حتى بعد غيابه عنا.

– قلت لتأريخي وصداقاتي مع الأرض والناس والكلاب، إلى اللقاء (ص١٥).

وفي الذاكرة كانت هناك (بودابست) و (براغ) ومدن أخرى تأتي إلى بحور ذاكرته وتنطق بلغة ثانية، ليقع بطل الرواية في أزمة المقارنات:

– هي ذي السعادة، أن تكون مسافرًا وحيدًا خاليًا من الهموم ومن الحقائب، وكل الذي حولك أزهار وخضرة وربى واطئات ومراهقات يضحكن ويتشاكسن دون حياء.

– وتتكسر الذكريات في السيارة التي تنقله من بغداد إلى الجنوب، وتتكسر لذة أسفار قديمة، ليقف البطل على متعة عابرة سريعة، بل هي متعة جدّ صغيرة، حتى إنها لم تبدأ بعد، وتنتهي صفحات الكوميديا دون أن يصل بطل الكوميديا إلى مسامة واحدة من جسد المرأة.

إنه يقول على لسان بطله:

– بيني وبين هذه المرأة حرب عصابات غامضة ملتوية، وفي رأسي أفكار غريبة تستحق الإبادة.

ولعل صراخ الصبيّ بائع الصحف والمجلات ما يزال يسري في رأسه وهو يكرر بحنجرة خبيثة متعمدة:

– التآخي، الجمهورية، الثورة، القادسية بدرهم واحد.

ولست أدري حينها لماذا تذكرت (برنادشو) وأنا أقرأ (محمد شمسي) مع أن العلاقة معدومة بين هذه الرواية وبين قول برناردشو:

– عندما ما تقرأ سيرة قائد ما، تذكر أن الحقيقة ليست للنشر.

إن كوميديا محمد شمسي تحكي بصوت مزدوج: قصة إنسان حقيقي في بلد حقيقي وزمان حقيقي، هي واحدة من القصص التي تترك بعدها أكثر من ابتسامة وأكثر من سؤال، ولهذا قرأتها مرتين أيضًا.

الأثر الإسلامي في شعر بوشكين " قصيدة النبي نموذجا "

د. عباس عبد الحليم عباس *

لم يعد يخفى على أحد أن حضارة الإسلام استطاعت أن تصل بعالميتها إلى مصاف الحضارات التي ساهمت في تشكيل ثقافة وإبداع شعوب عديدة غير مسلمة، ويبدو أن الشعب الروسي كان من أكثر تلك الشعوب التي انكب مبدعوها ينهلون من معين الحضارة العربية الإسلامية لقناعتهم الراسخة بثراء هذه الحضارة في مختلف المجالات، "وفي منتصف القرن الثامن عشر دعا العلامة الكبير الشاعر ميخائيل لومونوسوف (١٧١١-١٧٦٥م) إلى تواصل روسيا بالشرق وتوثيق العرى الثقافية والاقتصادية مع شعوبه، كما دعا إلى إقامة أكاديمية للاستشراق في روسيا، وكان وراء تأسيس قسم اللغات الشرقية في جامعة بطرسبورغ"، ومن هنا بدأت تتأسس معرفة منهجية حديثة للمبدعين الروس بكافة جوانب الحضارة العربية الإسلامية وإبداعاتها على مر العصور.

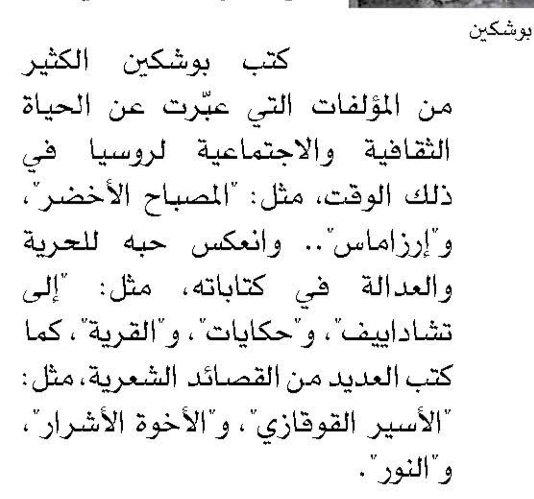
وإذا كان ألكسندر بوشكين Aleksander Pushkin هو شاعر روسيا الأكبر، ومؤسس أدبها الحديث فإن معرفة مدى تأثره بآداب الحضارة الإسلامية وتاريخها يدل على مدى احترام رموز الإبداع العالمي لثقافتنا العربية الإسلامية وقِيَمها العالمية الخالدة.

يعد "بوشكين" من أعظم الشعراء الروس في القرن التاسع عشر، ولقب بأمير الشعراء. وبالرغم من أنه لم يعش أكثر من ٣٦ عامًا، فإنه قد ترك الكثير من الآثار الأدبية؛ لدرجة أن قرّاءه يشعرون أنه قد عمَّر كثيرًا.. كما

* ناقد وأكاديمي - الأردن.

اعتبر عصر بوشكين العصر الذهبي للشعر الروسي، وهو عصر التقارب بين الأدب الروسي من جهة والآداب العربية والشرقية من جهة أخرى.

ولد بوشكين في موسكو في السادس والعشرين من شهر مايو عام ١٧٩٩.. ونشأ في أسرة من النبلاء كانت تعيش حياة الترف واللهو، تاركة أمر الاعتناء بالطفل بوشكين إلى الخدم والمربين والأجانب الذين كانوا عرضة للتغيير دائمًا، إلى جانب عدم إتقانهم اللغة الروسية إتقانًا تامًّا، وكان أبوه شاعرًا بارزًا في ذلك الوقت؛ فساعد ذلك على ظهور موهبته الشعرية مبكرًا، بالإضافة إلى ذكائه وذاكرته الخارقة.



بوشكين

تلقى بوشكين تعليمه في معهد النبلاء للتعليم الثانوي والعالي معًا، ومدة الدراسة به ست سنوات، وقد أنشأ هذا المعهد "ألكسندر الأول" لتجهيز شباب الأسر الروسية العريقة لتولّي المناصب الهامة في دائرة الحكومة القيصرية مستقبلاً.

أثرت سنوات دراسة بوشكين في تعزيز نزعته الأدبية والسياسية، كما كتب العديد من القصائد الشعرية في أثناء دراسته بالمعهد، مثل: "أمنية" و"العلم" و"رسالة إلى بودين". وبعد أن تخرج من المعهد أُسندت إليه وظيفة في وزارة الخارجية الروسية، وكان ينتظر ساعات العمل حتى تنتهي كي يفرّ إلى مجتمعات "بطرسبورج" فيرتاد أنديتها الأدبية والعلمية.

عرف عن بوشكين حبه للتجديد في شعره الذي كان يدعو من خلاله إلى إلغاء القيصرية، والقضاء على حق استرقاق الفلاحين.

كتب بوشكين الكثير من المؤلفات التي عبّرت عن الحياة الثقافية والاجتماعية لروسيا في ذلك الوقت، مثل: "المصباح الأخضر"، و"إرزاماس".. وانعكس حبه للحرية والعدالة في كتاباته، مثل: "إلى تشادايف"، و"حكايات"، و"القرية"، كما كتب العديد من القصائد الشعرية، مثل: "الأسير القوقازي"، و"الأخوة الأشرار"، و"النور".

كان بوشكين منحازًا للاتجاه العاطفي الرومانتيكي؛ لأنه كان يعتبره مختلفًا عن سائر الأساليب التي يقوم عليها الأدب الكلاسيكي المزيف، ولأنه

يعطي للكاتب حق التصرف بالفكرة الموضوعة، ولكنه ما لبث بعد فترة أن غيّر اتجاهه إلى الواقعية، وألّف بعض الأعمال التي عبّرت عنها فجاءت من صميم الحياة. وقدم بوشكين للقارئ من خلال أعماله صورًا من حياة أشراف روسيا، ونمط معيشتهم، وما اتسمت به الطبيعة الروسية.

أراد بوشكين إحداث تغيير جوهري في المسرحيات الروسية؛ فاتجه إلى شكسبير، ووجد في مسرحياته الانطلاق، والإخلاص، والحقائق، والأهداف السامية، ورأى أن المسرح الروسي يتلاءم ومسرحيات شكسبير الشعبية في ذلك الوقت.

وفي عام ١٨٣١ تزوج بوشكين من أجمل فتيات روسيا "نتاليا نيقولا لايفنا جونتشاروفا"، وأنجب منها ٤ أبناء، وتوفي مقتولاً في مبارزة له مع أحد النبلاء الفرنسيين، والذي كان يدعى "دانتس"؛ دفاعًا عن شرفه في وجه الشائعات التي أشيعت حول علاقة زوجته "نتاليا" بهذا الشاب الفرنسي، وكانت زوجته بريئة منها.. وكان ذلك عام ١٨٣٧ عن عمر يناهز ٣٦ عامًا.

اهتم بوشكين بقضايا الشعب الروسي؛ سواء كانت اجتماعية أو سياسية أو تاريخية، وظهر ذلك بوضوح في مسرحيته التاريخية التراجيدية "بوريس جودونوف"، وكان موضوعها الشعب والسلطة.. والتي أراد بوشكين أن يقول من خلالها إن السلطة لن تكون مهيبة إن لم تعتمد على الرأي العام.

كما كتب روايته الشعرية الشهيرة "الغجر"، والتي ظل عاكفا عليها لمدة سنتين، وكتب قصة "الأمية القائدة"، والرواية الشعرية "الفارس النحاسي" التي استوحاها من تمثال بطرس الأكبر، القائم بساحة مجلس الشيوخ في "بطرسبورج"، وكان بوشكين من أشد المعجبين بهذا القيصر، وكتب الكثير من المؤلفات عنه.

وتعد رواية "دوبرفسكي"، التي تحكي عن شاب هارب من إحدى طبقات النبلاء، أعظم ما كتب في تاريخ الأدب الروسي؛ فمن خلالها رسم بوشكين صورة للحياة الروسية في بداية القرن التاسع عشر، وما كان سائدًا من استبداد النبلاء واسترقاق الفلاحين في ذلك الوقت.

أما رواية "أوجين" أو "نيجين" فتعتبر أول رواية شعرية واقعية في تاريخ الأدب الروسي، وقد حصلت على لقب "موسوعة الحياة الروسية"؛ حيث يظهر فيها أمام القارئ جميع طبقات المجتمع الروسي في ذلك الوقت.

يعد بوشكين واحدًا من أشهر المبدعين العالميين الذين اهتموا بالآداب الشرقية ولاسيما أدب العرب والمسلمين وحضارتهم، إذ تدل أعماله على دراسته لجوانب كثيرة في التراث العربي الإسلامي، وإعجابه الواضح برسالة الإسلام وسيرة الرسول الكريم محمد -صلى الله عليه وسلّم- فقصائده التسع الموسومة بـ (محاكاة القرآن) دليل واضح على اطّلاعه على القرآن الكريم وإعجابه بهذا النص المعجز، وتدل أيضا على معرفة جيدة ببعض جوانب السيرة النبوية، فكانت قصائده تلك بمثابة كشف أدبي باهر لفت أنظار العديدين من النقاد والمبدعين بعده إلى ثقافة العرب المسلمين وتراثهم الأدبي عمومًا.

ومن أبرز نماذج الأشعار التي نظمها بوشكين متأثرًا بالمرجعية العربية الإسلامية قصيدة (النبي) ١٨٢٦م التي يقول فيها:

"لقد جبت القفر الكئيب متعثرًا؛

يعذبني ظمأ روحي

وعند مفترق الطرق

اعترضني ملاك بستة أجنحة

بأصابع خفيفة كالحلم

مرّ على عيني:

انفتحت عيناي المتنبئتان

كما تفعل أنثى نسر مرعوبة،

كذلك مسّ أذنيّ:

فملأهما بالضجيج والطنين

فأصغيت إلى ارتعاشات السماء

وتحليق الملائكة بين الأفلاك

ودبيب الأحياء في أعماق البحار

وارتعاشة الكرمة في الوادي

واقترب بيده من شفتي:

فاقتلع لساني الآثم

والماكر والسليط

وبيمناه الملطخة بالدم:

وضع لسان حية الحكمة

بين شفتي المتجمدتين،

ثم شقّ لي صدري بالسيف

ونزع منه قلبي الخافق

ووضع في الصدر المفتوح

فحمة تتأجج باللهب

مثل جثة هامدة استلقيت في القفر

وناداني صوت الرب:

نفّذ مشيئتي،

وبكلمتي أجّجْ قلوب الناس،

وأنت تجوب القفار والبحار"

تمثل هذه القصيدة من وجهة النظر النقدية العامة نصًا إبداعيًا ذا قيمة فنية وموضوعية كبيرة، ولكن المقالة الحالية غير معنية بتحليلها تحليلاً نقديًا مفصّلاً، إنما يهمنا إيضاح بعض الجوانب الخاصة بتشكيل القصيدة الفني، وعلى رأسها ذلك البناء القصصي القائم على سرد قصة هذا النبي عبر محاولته إيجاد فضاء مسرحي تتعدد فيه الأصوات (صوت الراوي -النبي- وصوت الملاك من خلال وجوده الفعلي، وصوت القوة الفوقية من خلال الأمر بتنفيذ المشيئة)، وكل ذلك يكسب النص روحًا درامية مبنية أساسًا على الحوار التفاعلي والتكامل لا الصراع والتناقض، بالإضافة إلى وجود جانب تصويري شفاف يفصح عن معادلات موضوعية لخواء الروح البشرية وإحساسها الدائم بقفر الحياة المادية وكآبة الوجود البشري حين لا يهتدي إلى الطريق الصحيح:

"لقد جبت القفر الوحيد متعثرًا

يعذبني ظمأ روحي

وعند مفترق الطرق

اعترضني ملاك بستة أجنحة"

ولا ننكر أن صورة الملاك الخارجية لدى بوشكين تشير إلى أثر التصور المسيحي للملاك المجنّح، غير أن متابعة الصورة عبر إيحاءات ألفاظ القصيدة ومعانيها تبيّن أن المرجعية الموضوعية لصورة الملاك الكليّة وتكوينه هي مرجعية إسلامية، ففي قوله (بأصابع خفيفة كالحلم) اقتراب من الحقيقة النورانية للملاك في الثقافة الإسلامية.

إن نص بوشكين عامة يشكّل بؤرة القضية ومحورها الأساسي لدى واحد من أكبر شعراء العصر الحديث، إنه ت. س. إليوت صاحب قصيدة (الأرض الخراب) The Waste Land التي تعبر عن تصور عميق للخواء والفراغ الروحي الذي وصلت إليه الحضارة الغربية في عصر العلم الحديث، غير أن هذا الجانب من البحث ليس هدف المقالة الحالية، إنما الذي يهمنا بشكل

أساس هو بيان وجه الحقيقة في طبيعة المرجعية الثقافية التي انطلق منها بوشكين ليصوغ نصه الشعري هذا.

في الحين الذي يرى فيه الناقد الروسي (نيزيلينوف) أن الأثر التوراتي قاد بوشكين إلى فكرة هذا النص –وهو هنا يعتمد على تشابه خارجي وأدلة ضعيفة– أريد أن أؤكد بما لا يدع مجالاً للشك أن القصة التي اعتمدها الشاعر لم تذكر في أسفار العهدين القديم والجديد أبدًا؛ لأن حادثة شق الصدر هي حادثة إسلامية خاصة بالرسول الكريم محمد –صلى الله عليه وسلم– وتقول القصة كما ورد في صحيح البخاري وشروحه: "حدثنا أحمد بن صالح حدثنا عنبسة.. أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم – قال: فُرج عن سقف بيتي وأنا بمكة، فنزل جبريل ففرج صدري،ثم غسله بماء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة وإيمانًا فأفرغه في صدري، ثم أطبقه، ثم أخذ بيدي فعرج بي إلى السماء".

إن النظرة النقدية المقارنة بين صورة النبي محمد– صلى الله عليه وسلم – في هذه الجزئية من الحديث وصورة نبي بوشكين تكشف أن اعتماده على حادثة (شق الصدر) يكاد يكون اعتمادًا مباشرًا بدليل استخدامه لمفردات مثل (ملاك، الحكمة، الصدر، السيف..) بالإضافة إلى الروح القصصية التي تتشابه في رواية الحادثة. غير أن الشاعر يتناول القصة ليوظفها توظيفًا فنيًا يتسق مع موضوعه الخاص الذي لا يبتعد كثيرًا عن إطار النبوة كما نعرفها ووظيفتها المعهودة، ولاسيما أن عنوان القصيدة نفسه يدل دلالة مباشرة على ذلك.

لعلنا بعد إيراد الحديث السابق وذكر هذه الملاحظات النقدية العامة نكون قد أوضحنا طبيعة مرجعية بوشكين في هذا النص، غير أن حقل الدرس الأدبي المقارن لا يكتفي بمقارنة النتائج دون معرفة الطرق أو السبل التي أوصلت إليها، وقد أشرت فيما سبق إلى شيء من الاهتمام الروسي بآداب المشرق ولغاته غير أننا نظل بحاجة ماسة إلى دراسة مقارنة جادة لمعرفة طرق التأثر والتأثير بين الأدبين العربي والروسي ورصد مفردات ذلك كله رصدًا علميًا.

• تم إيجاز حياته مما جاء في : الكسندر بوشكين.. أمير شعراء روسيا، بتصرّف من موقع : www.islamonline.net



نصّ



لينه النويلاتي *

وأنت تجالس بوحي

أيا أنتَ...

لا شيء يخاصر غضبي،

أكثر من أحلامك المتعجرفة

ومشاعرك الملثمة، وفوضويتك العنيدة..!

لا شيء يُحرجني أكثر

من صحبة صوتك في عبوري

الأنفاق المظلمة من قلقك المتجمد

وعاطفتك الرثة...!

لا شيء يُتعبني أكثر

من تبذيرك في حجز بطاقات ليليّة

لسفر أحلامك

وأنتَ تجالس بوحي كل ليلة..!

تعال إذًا، نقتصد الحلم

لأدعوك اليوم إلى منتدى أحلامي

وأتعهد لك سهرة مباهجها مدفوعة الأجر

لا تقبل إلا العابرين فقط

من أصدقاء الفرح...!

فلا تخذلني، لأني أنتظرك

خارج قميص الروح

لنتهادى الخطوة معًا

تحت مطر الشوق

عند غروب الوجع المزمن...!!!

* شاعرة وإعلامية - سوريا

* * *

أيا أنتَ..

أيا زمنًا امتشق تمرّدي...

ثمة حسابات قديمة بين زنزانة اليمام

وعطش اليأس...

ثمة عتمةٌ بين دروب القهر

وكوابيس الوحشة

وأنا المتدثرة ههنا، بحزني

ابتدأ ثرثرة النواعير على ضفاف صمتي

وأنت عبوري الأول إلى رصيف الريح..

فمن يعيد لعينيك الدهشة

وقد أضناني عقم همسك المترامي

حتى سفوح عطري؟!

* * *

أيا أنتَ..

أيا عصيان الوقت

وقد اعتصرني زمنك

امنحني الآن فقط، وهلة

أغفو فيها على مقعد الفرح العتيق

لأتعلّم من جديد أبجدية الدفء

وأنا أقلّب صحف شرودي اليومية

أشبكُ أصابعَ الرتابة

أتَجَرَّعُ عتب الياسمين المشاغب

على صقيع وسادتي

ربما.. أو أنني

أُعلن استقالتي من حلمك

وأستريح...!!!

* * *

أيا أنتَ

أيا سياج أحلامي المفخخة...

قد بردت قهوة نسياني

وها أنذا، كما كل شوق

أمنحك في لهفتي الأولى

تأشيرة الدخول الممنوع

إلى بطالة ذاكرتي...!!!

E-mail: lina-gh2@scs-net.org

ثلاثة نصوص

زهية مطاوع عويمرات*

علامات الترقيم

دعيني أكمل حديثي... لا تقاطعيني... فأنا ما زلت أهذي... وأفتش في كل الأبجدية عن فارس يقود هزيمتي... تمامًا كالمتنبي... يحمل السارية... يرفع عليها كل انكساراتي... كي ترفرف عاليًا في سماء رمادية... دعيني أسكب ماء قلبي في قالبي لأكون... فما أحوجني لأن أكون... لا تقطعي همهمات حلمي... فحلمي ما زال يحلم... رغم سرب من الخيوط الفضية يقتحم ليلي في عقر داره... لا تقهري صوتي... فهمساته قصيرة جدًا... حتى وإن كان يحمل نفسًا عميقًا يحرق كل الأوتار... دعيها تصرخ في كل الزوايا الخاوية، أن لا فاصلة بعد اللحظة... لا نقطة... ولا حتى علامة استفهام... خذي راحتي... وابقي لضعفي الثرثرة... لا تقيديني داخل الداخل... دعيني أُحطم قيثارته وأعزف لحنًا منفردًا... قيثارة الداخل كهلة... ثقوبها مغلقة... تكتم أنفاسي... لا أحد يسمع عزفي... قيثارة الداخل صدئة... تتآكل شفتاي حين تلتصق بها... أريد قيثارة جديدة... ولحنًا قديمًا... لحنًا عزفه التاريخ قبلي... سأعزفه من جديد... أُعيده على كل الآذان الصماء... دعيني أعزف فوق الأرض وتحت الأرض... فوق الماء وتحت الماء. لا تَدعي بُرعمي يذوي قبل أن يستقي من ظهر المكان وقداسة الزمان، دعي جذوري تنبش الذاكرة... تتمرد على المسافة... لا تحاصري سجني... فقضبانه تكفي.

الطريق

كان جافًا على غير عادته، خاليًا من

* من الأقلام الجديدة في مجال القصة القصيرة – طالبة جامعية – الأردن.

آثار أقدام العابرين... أصبح لا يجيد قراءة الحصى... لم يبق فيه سوى رسوم طفل كان يحلم ذات يوم... رسم سهمًا يقول: من أول الطريق إلى آخر الطريق ثمة مسافة... بماذا كنت تحلم يا صغيري... ما الذي أدركه قلبك الصغير حين خطّيت سهمك الذي عبر عليه العابرون... عابرون عابرون... لم يصدقوا قلبك.. وحاولوا اختصار المسافة فضلّت خطاهم رمل الطريق... قتلتهم عقولهم العفنة داخل جماجم لا تعرف غير الكوفية... لم يكن هناك نهر كي يصنعوا سفينة... كل ما كان هو رمال تعلوها رمال وكلها اختلطت بأحلام طفل... لا حاجة للمجاديف... كسّروها بعيدًا عن جمجمة الصغير... فهو ما زال يحلم... لا تعكّروا صفو حلمه... لا تقطعوا همهماته حتى وإن صبّ لعناته الطاهرة على رؤوسكم الخربة...رؤوسكم التي لا تصلح إلا لأن تكون عشًّا لغربان ناعقة... لا تكشفوا عن سيقانكم المعوّجة، فلا ماء... تحسّسوا وجوهكم لتصدقوني... أوجعني سهمك يا صغيري... اخترق مني القلب وأصاب مقتلاً... لا حاجة لكل مراكب العمر بعد سهمك يا عزيزي... تمنيت أن أكون أناملك الصغيرة كي أجيد قراءة طهر القلب فيك... جرحي يزداد اتساعًا... ولساني يهذي بالمسافة... قصيدة الرثاء مات مطلعها... ووجعي يمتد من أول الطريق إلى آخر الطريق... لا مدّ ولا جزر... الجلد يُغطيه غبار الطريق فلِمَ تمزقوه أشرعةً للريح... الهزيمة تسخر من انتصاراتكم... والبحر غدا كهلاً... أقسم أن لن يحمل أجسادكم الصدئة... أقسم أن لن يحمل أضلعكم الواهنة... حيتانه غير حوت يونس.. وأمواجه هربت عن شاطئها بعد أن أثقلتها المواجع... الطريق غير الطريق... والأفواه المتقيحة لا تعرف غير الكلام الباهت... مصيبتي بحجم الجبل... والجبل بحجم الصغير... مزّقت وثيقة العمر تحت صدق أقدامك يا صغيري... نعم كان جافًا جدًا... خاليًا من كل العابرين... لكني ما زلت ألمح سهمك يقول: من أول الطريق إلى آخر الطريق ثمة مسافة.

الراية

بعيون قتلها الظمأ... وجسد منهك هدّه طول الأمل... وعقل تاه في بيداء العمر... وقلب يشتاق إلى راية الملك الغساني الأكبر... تتوقف الذاكرة المتعبة... وتنتصب اللحظة... ترتجف عقارب الساعة وترجع إلى الخلف... والراية تلهث وراء الوراء... والهزيمة

تصرخ: هل من مزيد...؟ عنيدة أنت أيتها اللحظة... تبتلعين نشوة نصر الوراء، وتخلفين لي كل الانكسارات، غريبة أنت أيتها اللحظة... تحرقين فيّ مناديل الفرح وتبقين لي منديل القهر أكفكف به ماء عطشي. مجنونة أنت أيتها اللحظة... تُلوّحين برايات الهزيمة عاليًا بينما ترفعين راية النصر قاب قوسين فوق رؤوس فارقت الجسد، وجسد فارق الروح. ترفعينها على خجل منك... أيتها اللحظة خذي كل شيء وابقي لي الراية... فأنا ما زلت أمسك بساريتها... هي دليلي، صدّقيني... وهي عصاي التي أتوكأ عليها... الراية أيتها اللحظة هي نور العين ودفء الروح وافترار الثغر... هي صدق القلب...بل روح الروح وقلب القلب... متشبثة أنا بساريتها... أحنّ إليك أيتها الراية... دعيني أقترب من لونك الداكن... لونك الذي لم تُغيّره حرارة الخائنين... دعيني أعانق شموخك الذي يجاري الشمس في كبد السماء... دعيني أخربش على صفحتك ألوان عمري... خجلى أنا منك... لا أجيد إلاّ فنّ الخربشات... انقضي غزل اللاهثين وراء السراب... أعدك أنني لن أدخل حجر الضب... ولن أشرب من غير مائك... أعدك أنني سأحارب كل الذباب الذي يحاول أن يعبث بطهر قلبك... سأتلو لك: إذا جاء... سأعزف لحن الخاتمة... سأدفن وحدتي في غبارك... وأنبت لك كل السنابل... أمنحك الياسمين صدقًا أبيض... رأيتك في المنام... تداعبين خشونة أيامي... تقهرين اللحظة... وتضمينني إليك طفلاً يتيمًا... تُرضعين مغناك والنشيد... وتهمسين في أذني الصغيرة بأعلى صوتك... أنا كل شيء حولك... أنا ياسمينك والصبّار... لن أبتعد رغم البعد... سأجمع كل أوجاعي وأوجاعك... ويتمي ويتمك... وقهري وقهرك... سنجمعها معًا... نلفلفها... ونحرقها... ونسحق حتى رمادها... نضعه في مهب الريح... لتأخذه إلى اللامصير... رأيتك تضحكين والسارية تزداد ارتفاعًا... رأيتك تغرسين في قلب السماء أمل الياسمين ويقين الصّبار... رأيتك تحلمين بالحالمين وتعبثين بالعابثين... رأيتك رايتي دون كل الرايات... ورأيتني في عمق قلبك... أبحث عن رائحة الياسمين... وأتحسس جذور الصّبار.



نص



إذا لم نجد أرضًا

نسرين أبو خاص*

إذا لم نجد في الأرض، متسعًا لأقدامنا
مكانًا هيّأ الأقمار للصدف الغريبة،
واللقاءات السريعة
افترضنا بقعةً أرضية في وهمنا
وذهبنا للقاءْ

وتأرجحنا على الحلم المشرنق
غُصنا في هشاشةِ غيمةٍ قطنيةٍ
كسرنا الضوء الذي يتراقص من حولنا
ولجمنا الهواء

والتقينا... وتحدّثنا طويلاً
وتراقصنا على خفق القلوب
وعندما حان الوداع، تبادلنا أسماءنا
وحضرنا عناويننا الوهمية على طرف السماء

لم نجد مترًا من الأسمنت كي نثبّت فوقه أحلامنا
أرضًا بحجم الحذاء
فلجأنا للاستعارة
قلنا في قرارة حلمنا المجنون:
علّنا نجد مشتهانا في الفضاء
مساحة بيضاء أو زرقاء صالحة
لنكتب فوقها أسماءنا
ومقتضب العبارة
أنشدنا... وكانت الكلمات تخرج من دمٍ الجراح
لهذا اعتراها الخلل
فالجرح إذا استمر بالنزيف دنا الأجل
والنشيد إذا استمر في الخريف البعيد لاح الأمل
ونفض عن جناح الليل أسراره

* من الأقلام الجديدة في مجال الكتابة النثرية – محامية – الأردن.

سؤال

إبراهيم العامري *

هو: هل تذكرين حين التقينا هناك.

كنت شهية كحبة كمثرى سقطت من فرط الحلاوة واستقرت لقمة سائغة في فم الأرض، كنت كغيمة وحيدة تتبختر في السماء، كنت جميلة إلى درجة غريبة أجبرتني أن أركض في الشارع وأصرخ وأنادي بملء فمي أحبك.. أحبك.

هي: ولكن... أريد أن أسال

هو: (يقاطعها) لا تسألي الآن، حينها مشينا طويلاً في الطريق المؤدية إلى مقاهي عمان احتفينا وشربنا القهوة في مكان صغير في البلد، تحدثنا وظللت ملتصقة بي إلى أن ذهبنا وركبنا سيارة الأجرة، كان السائق ينظر إلينا بحنق قبل أن يُسوّي مرآة السيارة باتجاهك، لم أكن ألومه مع أن الدماء غلت في رأسي. كان بوسعي السكوت لا لشيء ولكن لكي لا أضيع ما بك من فرح.

هي: هل تسمح لي بسؤال

هو: (يقاطعها مرة أخرى) آه... كم كنت سعيدًا، كان الجو ماطرًا، لم نشعر بالابتلال كان علينا أن ننسى كل تعاليم الكون ونصغي فقط لوقع أرجلنا المبتلة وحين وصلنا البيت وقبل أن ندخل ضممتني، قبلتني وغبتِ داخلاً.

لم ينته العاشق من الحديث المتواصل، وكانت هي أمامه تنتظر دورها في الحديث. واقفين بجانب متجر لبيع الملابس حين استوقفها وأخذ بالسرد، ولكن الحديث انتهى حين قاطعته هي هذه المرة وأطلقت سؤالها المنتظر

قالت: ولكن في ذاك اليوم كم دفعت لي، وأكملت السير.

* من الأقلام الجديدة في مجال القصة القصيرة – الأردن.

أنوثة

مهيره مقدادي *

صعد درجات السلم حانيًا جسده للأمام وفي يده مجموعة أكياس، وقد بدا وكأنه قد أضاف عشرة أعوام على عمره، تركّزت جميعها من خلال تقطيبة رقدت بين حاجبيه، وأنفاس هي أشبه بالشخير، احتشدت وظهرت بين ليلة وضحاها.

لم يحاول تعديل ربطة عنقه. أو مسح العرق عن جبينه، أو حتى الإسراع في مشيه، والقفز كعادته مختصرًا درجة أو درجتين في كل خطوة.

اكتفى بالصعود متباطئًا، ولم ينتظر الوصول.

وكمحصلة لبضع خطوات ابتدأها من أول السلم، وصل إلى باب شقته، دخل مجتازًا الصالة دون أن يحاول الالتفات إليها، وضع حمولته على الطاولة، واتجه إلى غرفة نومه، قذف بجسده المرهق على السرير. وراح يحدق بالسقف. صامتًا يتأمل رسومًا مختلفة شكّلتها النتوءات في الجدار.

– عينان، شفتان، وشعر أسود يمتد حتى خارج حدود الغرفة، وساقان عاريتان ناصعتا البياض.

أغمض جفنيه في محاولة منه لاختلاس إغفاءة هادئة من الزمن، بينما تسرّب إلى مسمعه صوت يكاد يهمس:

– الغداء جاهز

* من الأقلام الجديدة في مجال القصة القصيرة – إربد – الأردن.

لم ينظر إليها هذه المرة أيضًا... حمل جسده جارًّا قدميه، جلس متربعًا حيث المائدة.

ضمّت قدميها وتبعته في الجلوس.

بدأ طعامه، بينما أخذت ترقبه ويدها مشغولة بشدِّ قميصها ليغطي أكبر جزءٍ ممكن من فخذيها.

نظر بطرف عينيه إلى حركة يدها.

- ماذا عساها تُخفي؟ ألا يكفي بنطال وقميص جدي لتداري ما تجتهد في مداراته؟

أجفلها وجمد الدماء في عروقها حين هم بالكلام، تجاهل رعبها متنحنحا وأردف قائلاً:

- أحضرت ما تحتاجين من فوط نسائية.

وأتبع جملته اليتيمة:

- أليس اليوم هو موعد دورتك الشهرية؟

- بلى

- عرفت ذلك

حاول أن يكون هادئًا إلاّ أن قطعة الخبز التي قفزت إلى الصحن من يده فضحت أمر غضبه

- أخبريني إن احتجتِ لكمية أكبر

- كمية أكبر؟

- حسنًا، على فرض أن دورتك استمرت لأكثر من خمسة أيام، وعلى الأغلب ستستمر فأنا أعرف حظي

- لا أظنها

غادر المائدة بسرعة فاجأتها، وفي طريقه إلى السرير تابع كلامه بحدّة واضحة:

- لا يعنيني ما تظنين، فقط أخبريني في حال احتجتِ

تسمرت، وأخذت تحدق بالأواني التي لا تزال ممتلئة، تعبق منها رائحة تعبها لساعات استنزفتها في إعداد طعامه.

أدارت بصرها إلى حيث جسده الممدد على حافة السرير، بينما ذبلت دمعة في مقلتها، هزلت وتساقطت ليتلقفها خدها، ويحملها إلى عنقها، فصدرها، فبطنها، فأسفل بطنها، فساقيها، فقدمها، فالمائدة الدافئة، التي تحملها بدورها بخارًا يجوب أنحاء جسدها من جديد.

- أن تدرك أُنوثتي، هذه كل حاجتي



قصص قصيرة

وفاء بكر *



تاريخ طاولة

جلس على طاولته المعهودة تحت ظل شجرة الكينا في قهوته التاريخية... على تلك الطاولة كتب معظم أعماله في الأدب والتاريخ، أيقظه النادل من استغراقه في الورق سائلاً: ماذا تشرب يا سيدي؟ أجاب بملل التكرار: قهوة.. قهوة على الحساب.

أزمة وطنية

دخل حكيمٌ قرية، فوجد أهلها في كرب وحيرةٍ وسارعوا بسؤاله المساعدة في حلّ ما أشكل عليهم حلّهُ قائلين: عطشت بقرتنا الكبيرة فحاولنا أن نسقيها من البئر.. حملناها لكي تشرب.. غلبنا ثقلها فسقطت فيهِ ونحن نتأمل منك المساعدة.. أجابهم وهو يغادرهم: والله يا سادة إن ذكاءكم الذي دفعكم لحمل بقرتكم لتشرب من البئر لهو قادرٌ على جعلكم تخرجوها منهُ.

غنيمة

دفنوه في التراب على عمقٍ لم يتوقعه أحد وعادوا مسرعين ليقتسموا الغنيمة.. بعد سنين دفنوا الغنيمة ورفعوه على ارتفاعٍ لم يتوقعه أحد أيضًا.. ثم خلدوه.

فشل

قال معترفًا لأول مرةٍ منذ الهبوط.. لم تكوني أنتِ من راودني على الأكل منها..

* من الأقلام الجديدة في مجال القصة القصيرة – الزرقاء – الأردن.



أنا رجلٌ يغار حتى من الملائكة.. اتفقت معه على أن يُغويكي.. لتغويني.. لأُخرجكِ من الجنةِ لتدخلي جنتي.. أشارت إلى صغيرها الذي تُرضعه.. ولكن هذه هي جنتي!

أسفار ونعال

مرَّ على نهرٍ جارٍ، خلع نعليهِ وعبر... بينما كان حمار يعبر الجسر في تلك الأثناء!!!

ذاكرة الصورة الواحدة

القبعة التي يلبسها منذ عقودٍ سقطت... أخيرًا سقطت.. حسنًا لن يبقى بعد قليلٍ في ذاكرة الحضور من صورٍ غير أن القبعةَ قد سقطت أخيرًا!





قصة

رحمة



إيمان حماد*

استيقظ كعادته وأخذ يمارس طقسه المعتاد من الصمت المطبق والتأمل في خلق الله وملكوته في تفجر هذا الصباح واشتعال شمسه واستعارها بعد ليل أسود جليدي.. هو لم ينتبه إلى أن جلوسه هذا قد تحول إلى تعبّد من نوع ما، إلا منذ فترة قصيرة حين حدّثه زميله "أبو غسان" أن النزلاء الآخرين في "دار البر" يلقبونه بالناسك، لأنه يقضي كثيرًا من وقته صامتًا متأملاً وفي يده المرتجفة مسبحة يرتل فيها أسماء الله وآيات الثناء عليه ..

مرّ وقت طويل منذ قدومه إلى هنا، وهكذا اعتاد كل الأشياء والعادات والوجوه وانتهى بعدها إلى الصمت مُسلّمًا أمره ومستسلمًا ليتمه عن ابنه الوحيد الذي أحضره هنا منذ خمس سنوات، فزوجته العاملة نهارًا والمتعبة مساءً لا يمكنها الاعتناء به، فانتهى به الأمر إلى يدي "عبير" تطعمه وتغير ملاءته وتذكّره بدوائه، وهي الفتاة المسؤولة عن الطابق الأول الذي يقيم فيه.

يتناول رداءه الرمادي ويضمه إليه متدثرًا، فالنظر إلى الحديقة الصفراء الشاحبة والرطبة يقشعر بدنه ويزعج مفاصله الروماتزمية فتزعجه بدورها فيخاف أن تقسو عليه طول النهار. ومع أنه يعلم أن الأمور تبدو أسوأ عادةً من حقيقتها عبر زجاج نافذته المغبر والملطخ بالتراب والطين، فإنه لا ينتظر أن تظهر الأمور خلالها ذات يوم أكثر إشراقًا من حقيقتها خارجًا.

* من الأقلام الجديدة في مجال القصة القصيرة - الأردن.

نحن هكذا بني البشر نعتمد التنكر والزهد وسيلة للدفاع عن بقايا كرامة وبقايا قلب بقي لنا يوم ضاعت أحلامنا وخابت آمالنا وأحبطت أرواحنا من الحياة والناس، فيشفي غليلنا التظاهر بالنسيان وعدم الاهتمام والامبالاة فتتقوى قلوبنا فلا تذوب مكانها خيبة وحسرة وكأن الخيار كان لها أو الأمر بيدها!!..

هكذا كان يقول في نفسه كثيرًا:- من الأفضل أن أقيم هنا لأقضي آخر أيامي بهدوء وأجد من أتسلّى بصحبته من أبناء جيلي وعمري، ماذا ستفعل برفقة "ورود" زوجة حمزة المدللة التي لا تُجيد عمل أصغر الأشياء، والتي هي ذاتها تحتاج من يرعاها ويساعدها!!.. إن بنات اليوم هكذا أتلفهن الدلال ولا يستطعن إدارة منزل وتصريف حياة زوجية. فلن تحتمل مرضك وعوزك وهرمك.

يقول هذه الكلمات ليواسي نفسه ويهمس لها: ثم إن "حمزة" لا يتأخر عن زيارتك ويحضر معه التفاح الأحمر الذي تحب ويجلس ليحدثك عن كل صغيرة وكبيرة تحدث في العائلة، وكثيرًا ما تتأكد أن وجودك في بيته ما كان إلاّ ليعقّد حياته ولا يريحك أو يريح زوجته.. جيد أنك طلبت منه وأصررت على القدوم إلى هنا. ويبتسم حسرة ويبهت صوته الذي يحادث نفسه به، وتغص عيناه بدمعة ويضعف صوته وهو يحدث نفسه من جديد: طبعًا بعد تلميحات ابنك ومشاجراته وزوجته وتوبيخك على أصغر ما تفعل، وأصغر ما تقوله و تنساه.

ينزل إلى الحديقة ليبعد عن نفسه أفكاره وينسى غصّته الصباحية، فيتابع نسكه وتسبيحه المعتاد.. والحقيقة أنه مغلوب على أمره، وفي غاية الغربة وليس له أنيس في وحدته وشوقه إلى بقيته الباقية "حمزة" ابنه الوحيد والعزيز.

تقدم إليه، وعلى عادته احتضنت يده كيس التفاح المفضل وعلى غير العادة احتضنت يده يدًا صغيرة قبضت قبضًا شديدًا على دميتها في يدها الأخرى.. تقدم إليه وانحنى ليقبل يده وجبينه ويعانقه فيضمه إليه ويدعو له ويرضى عليه: الله يرضى عليك يا حمزة ويوفقك يا ولدي.

يبتسم ويهمس له: هذا "يامن" ولدي .. ويدفعه برفق ليتقدم خطوة خجلة وخائفة فتتردد في تقدمها وتعود أدراجها لتتكئ على يد والده التي لا تنفك برفق تحثه على التقدم إلى جده وتقبيل يده.

يتأمل حفيده بكل حب وحنان. له نفس عينيّ أبيه البنيّتين البراقتين ذكاء وحدة،

وتتسعان الآن أكثر فضولاً لتدرك أكثر ما تستطيع إدراكه من هذا المكان الغريب الذي تدخله لأول مرة والأشخاص الذين تلتقيهم أول مرة.. أخرج من جيبه قطعة من الحلوى ومدّها إليه وقبّله بتحبّب فخلق هذا راحة وأنسا بينه وبين الطفل الذي على ما يبدو كان يعاني من خجل أول دقيقتين ليس إلاّ، ثم لم يلبث أن انطلق راكضًا ولاعبًا وعابثًا مع الجميع وبكل الأشياء.

وقضى الثلاثة اليوم كاملاً ولم ينغصه على "أبي حمزة " أي شئ حتى معرفته في سياق حديثه مع ابنه أن إحضار "يامن" كان لظروف اضطرارية في روضة الأطفال التي اعتذرت عن استقبال الأطفال اليوم وتركت أمر الاعتناء بهم إلى الأهل، ولمّا لم يكن من الممكن اصطحابه للعمل توجّه "حمزة " به إلى هنا.

وفي آخر النهار همس له "حمزة" وهما يراقبان "يامن" يلاعب المسنين ويضاحكهم ويسليهم: بما أن "يامن" خلق الكثير من البهجة هنا فسأُحدث "ورود" أن أحضره معي دائمًا فيتعرف إليك أكثر وأرى أنه أحبك وأنت أحببته؟؟

فرد سريعًا وبحدة: لا تحضره برفقتك مرة أخرى!..

انتفض "حمزة" واتسعت عيناه دهشة في غير تصديق، وعلّق دون أن ينتظر:- تريد أن تحرمه من أن يكون لديه جدّ؟؟ ..

– بل لا أريد أن ينسى أن له أب!!.. علق الأب بانكسار وضعف..

وتابع: كنت بك رحيمًا وأنت رضيع فرحمتك من الجوع وكففت عنك بإذن الله البرد والمرض. ويوم صرت شابًا رحمتك من عوز الناس ومدّ يديك وانتظار إحسانهم فعلمتك صنعة وحملت بعلمها شهادة.

وإني أمنعك من احضار ابنك فتعلمه نسيان أبيه بيديك، وتُلقنّه أن يتنكر لإحسانك وقت هرمك. فدعنِي أكن بك رحيمًا، وأرحم من نفسك على نفسك فأرحمك هرمًا وشيخًا وعجوزًا كما رحمتك رضيعًا وشابًا وأحميك من غربة وقهر وعقوق تجنيه على نفسك بيدي ولدك.

طأطأ رأسه وانحنى خجلاً وخزيًا وبكى...

أما هو فكتم دمعه وهو يودعهما وتصبّر، فحتى اللحظة أراد أن يكون رحيمًا على ابنه فلا يرى دمع أبيه ولوعته!!

ألعاب الظلام

إيناس الساحوري *

تتضارب حمرة الأفق مع صفاء الثلج، ويلتمع أزرق المدى في أحضان صفراء، أبواب مشرعة وقلب يخفق كبندول سيحتضن معذبهُ بعد ساعة، أزياء وألوان تكفي للقاءات عمر بأكمله.

تستجمع قواها، تغمض عينيها وتمد يدها إلى خزانتها لتلتقط ما تختاره الأقدار، قدرها السرابي الذي لا تملك إلا أن تركض وراء أوهامه معصوبة العينين مرهفة الإحساس.

جفّ الحبر من قلمه الرصاصي ولم يجد الفارس أقدامًا تهرول به سوى شراشف بيضاء من حوله وأنين متقطّع يصل إليه جافًا مع عتمة الليل، يلمس أوراقه العاجزة إلاّ عن الألم، تنظر إليه متوسلة أن يرسم لها حنجرة تنادي قطيعها الذي نسيها في غمرة هرولته.

تدقّ الساعة في غرفة قريبة وتخترق حجب الستائر فراشةٌ تغرز رحيقها في ساعده وتبتسم لتمضي نحو ستارة أخرى.

- هل لي... ؟

خرج صوته هادئًا مترقبًا، عادت الفراشة إليه فمدّ لها قلمه الفارغ، اقتربت ورفعت غطاءه ليغطي كتفيه، وقبل أن تمضي همست إليه بكلمات لا يوجد غيرها على ألسنة الناس هنا "عليك بالراحة"!

نهض من سريره متثاقلاً يجتاز الممرات الخانقة، تتكشف له الحديقة بمقعدها الخالي، جلس متأملاً خضرة الأرض وزرقة السماء، هبّت نسمة قوية حملت إحساسه بعيدًا وتركت جرحه منكشفًا، التهب شيء ما بداخله، رفع رأسه ليستند على ظهر المقعد، وتهاوت من عينيه دموع

* من الأقلام الجديدة في مجال القصة القصيرة - الأردن.

ملأتها ملحًا حارقًا لكنها بقيت قادرة على تتبع أحداث الذاكرة. ارتدت أجمل ما لديها، ومشت تدفعها خطوة وتُرجعها أخرى، وكأن عجلات الطائرة سوف لن تجد أرضًا تحطّ عليها، لكنها ابتسمت وقالت في نفسها "سيتسع قلبي له" في غرفة كبيرة تنتظر أن تنفتح لها السماء مشرعة أبوابها، وترقّبٌ لعينٍ يُفتت ذاتها، وورودٌ قد استسلمت في حضنها ملّت الصمت.

بدأ الكثيرون بالخروج من الغموض هناك، ركضت بكل ما تملك من عزم ووقفت أمام تدفقهم، والوحيد الذي يتكلم على الجميع دقات قلب لا تحصيها أيٌّ ذبذبات، وضعت ورودها على الأرض، ومضت قبل أن ينتهي فوج القادمين...

وكأن السماء قد غضبت من البحر، تتطاير النسائم، ورذاذ بارد ينساب في الأجواء، جلست على صخرة في زاوية مهجورة، لا يوجد غير أوجاعها تضاريس لا تمحوها الأمطار، وفي داخلها قروية تبحث عن منديل أخفته طويلا عن أعين الأخريات " أتكفيه الورود لتبارك الأقدار ما أبقت لنا من رمق. ! "

حملت إليها النسائم الباردة صوت أنين خائف يصلها متقطعا، تحوم نظراتها كظامئ حوله ملايين البحار، تتكشف ستائر الليل عن خطوات صغيرة وروح ما تزال هشة، وحين التقت العينان راح الطفل يبكي، نهضت من مكانها وهبّت إليه، ولكنه أبعد نظره إلى الجهة المقابلة، التفتت لترى مدينة ألعاب كبيرة تصرخ وسط الظلمة، سألته: أتريد أن تلعب؟ حرّك شفتيه بإيماءة، وكأنه يتمنى لو يلحق هناك عاليًا، أمسكت يده ومشيا معًا وما أن وصلا حتى ترك الطفل يدها وركض بلهفة إلى الداخل، ومشت هي تتابعه بنظراتها وما بداخلها يشدها لممارسة شقاوة ضمرت طويلاً صعدت إلى إحدى الألعاب وأغمضت عينيها منطلقة، أحست بالرذاذ المنعش يخترق كل خلية فيها، خرجت من داخلها ضحكات وصرخات تملأ الدنيا صخبا حملتها إلى عوالم من ألوان وأضواء، وكل ما فيها يتراقص مع حركات اللعبة الجهنمية، مدّت يدها وكأنها تريد أن تعلو مع الحركات السريعة لتلامس القمر، تآكلت اللعبة أمام فرحتها ودخلت إلى خلاياها نسائم عنيفة ودوّى صوت ارتطام ملأ الدنيا صمتًا. نهض عن مقعده ليتهالك على سريره متعبًا، يصم أفكاره عن ثرثرتها ويغض الطرف عن قلبه المشتعل ويغمض عينيه عن دموعها، أمسك قلمه وقد كسر طرفه وسال الحبر من جدرانه وسرعان ما انبعثت منه أبخرة تمتصه رويدًا إلى أن تلاشى تمامًا.

قصة

فرح وخوف ورصاص

إيمان الجمل *

كفراشة بلّلها المطر تمشي وكل ما يحيط بها يُشعرها بالارتباك. تلك العيون بلا عدد ترمقها مشبَعة بالمعاني ما بين فرح وحزن وفضول وحسد. تلك الأفكار بلا حدٍّ تتجاذبها مشبعة بالأماني متخمة بالذكريات. يده التي تحتضن يدها كي تَهديها، كي تحميها، كي تأسرها، ليست تدري، ليس بعد. هذا الثوب الجميل الطويل يجعلها تكاد تتعثر لولا هذه اليد التي يمكن الاعتماد عليها عند الحاجة. الطريق طويل وباب صالة الأفراح يتراءى لها من بعيد كسراب. وتلك الكوافيرة، تبًا لها! لم تدع نوعًا من مساحيق التجميل إلاّ ووضعته على عينيها، حتى إنها تشعر بالضيق حين ترفع أهدابها، مما يضطرّها إلى أن تطبق جفنيها بين الفينة والأخرى، ولو أدى ذلك إلى أن تتعثر قليلاً وتدع يده تهديها السبيل. وهذي الطّبول، إنها تزفّها في يوم فرحها، فما بالها تضيق بها ذرعًا وتراها طبولَ حرب؟!

شيء ما يحرمها الشعور بالاطمئنان، قلبها ينبض بسرعة غير طبيعية، ويدها في يده ترتجف. قالت لها أمها غير مرة إنها ستتوتر في هذا اليوم، وإن هذا أمر طبيعي، لكنه لا يبدو كذلك. شيء ما يُشعرها بالخوف، لكنه بجانبها، وبوُسعه أن يحميها. أتُراها خائفة منه؟ ربما !

لكنه يحبها، قالها صريحة مرة، وقالتها عيناه مرات. أما أفعاله فكانت تترجم هذا الحب في كل مناسبة. ما تزال تذكر كيف مرض حين سمع بمرضها ذات يوم، وكيف أنها شفيت قبله. بل كيف تنسى تلك العينين اللتين زارتاها في المستشفى وقد خبا فيهما

* من الأقلام الجديدة في مجال القصة القصيرة – الأردن.

بريق الحياة، فبدتا كقبر يتهيّأ لدفنها بعد أن صوّرت له مخاوفه أنها ستموت! إنه حسّاس، ربما أكثر مما ينبغي. أفبعد هذا تخاف منه؟ إنها تخاف عليه! تُرى... ماذا يمكن أن يحلّ به لو ماتت حقيقةً؟

ربّاه! ماذا دهاني؟ أهذه أفكار تراود فتاة في يوم فرحها؟! هزت رأسها لتنفض عنه هذه الوساوس والأوهام، فنظر إليها، والتقت عيناه الحالمتان بعينيها الخائفتين من مجهول تحسّ به أقرب إليها من عينيه. التقت العيون، ولكن... أنّى للقلوب أن تلتقي؟ أين أحلامه الوردية من مخاوفها السوداوية؟ لكنه يحبها، وهذا كاف لكي تجود عليه بنظرة حب.

احتضن يدها بقوة أكبر وقد اقتربا من باب الصالة قادمَين من السيارة التي أقلّتهما، والممرّ الطويل المفروش بالأزهار المحاط بالأقارب والأحباب قد شارف على الانتهاء، والزغاريد المتصلة لا تكاد تتوقف. صوت الطبول يعلو مشعلاً الفرح في نفوس الحضور والنارَ في قلبها، ما تزال تسمعها طبولَ حرب، وما يزال قلبها ينبض بسرعة غير طبيعية.

ها قد وصلا الدرج المؤدي إلى باب الصالة، ها هي تصعده درجة درجة، بمساعدة يده التي تأخذها إلى القفص الذهبي الذي أعدّه لها برضاها. سيأسرها إذن! سيسرقها من ماضيها بكل ما فيه من أطياف رافقت روحها، وأحداثٍ صقلت هذي الروح، وجعلتها أقوى وأقدر على مواجهة التحديات.

لكنها خائفة الآن. وهذي الطبول! طبول الحرب، لم يبق إلا إطلاق الرصاص لتصبح حربًا حقيقية، ويعج المكان بالقتلى والجرحى، وأجلس لأبكي عليهم!

رحماك إلهي! ها هي طلقات الرصاص تُدوّي في المكان، وها هو قلبها الذي كان ينبض بسرعة يكاد يتوقف عن النبض. نظرت إليه فزعة، فابتسم لها بحنان، وربت على كتفها قائلاً:

"إنه أخي، لقد أقسم أن يفرغ كل ما في جعبة مسدسه من رصاص في يوم عرسي. لن تستطيعي تصور مقدار فرحه بزفاف أخيه الكبير".

كانت ستقول له شيئًا، لكنها صمتت، ونظرت إليه نظرة غامضة وكأنها تستنجد به، ثم ثقلت فجأة وكادت تقع عن الدرج، لولا أنه احتواها بين ذراعيه فزِعًا جزعًا لا يكاد يُصدّق ما ترى عيناه. صَوت الطبول غاب لتحلّ محلّه صرخات النسوة اللاتي كنّ يزغردن قبل قليل. الكلّ تجمع حول العروسين ليعرف ما جرى، ولم يكن الأمر يحتاج أكثر من لمحة ليدركوا الحقيقة المُرّة. ثوب العروس الأبيض مخضّب بالدم القاني، وعيناها تتطلّعان إلى السّماء خاليتين من المعاني؛ لقد أصابتها إحدى رصاصات أخيه - خطأً- في مقتل، مُقسمة لها على فرحه، ومن الفرح ما قتل!



أناهيد



د. فداء غنيم *

أناهيد هلاّ تعلّمت الكلام

أناهيد أما زلتِ تزورين

بابل العتيقة!

أما زال هاروت وماروت ينفثان فيك سحرًا

في العالم العلويّ

هلاّ رأيت الملائكة والأنبياء

هلاّ رأيت الله جهرًا

موهومة أنت...

مزعومة أنت...

ليس إلاّ...

أناهيد...

في العالم العلويّ

هلاّ وجدت ما حلمت!

هلاّ شربت ماء الحياة!

هلاّ طعمت ثمار اليقين!

عودي نيزكًا

عودي شهابًا

عودي حيث كنت

لا تبقي معلقة بين السماوات

لا تبقي مسمّرةً في عالم المجرّات

في العالم العلويّ... متاهات

في العالم العلويّ... ذكريات

عاد أبواك منذ بدء الخليقة

عودي كما عادا

فسحرك خادعٌ كاذبٌ

تيقّني الحقيقة

* من الأقلام الجديدة- الأردن.

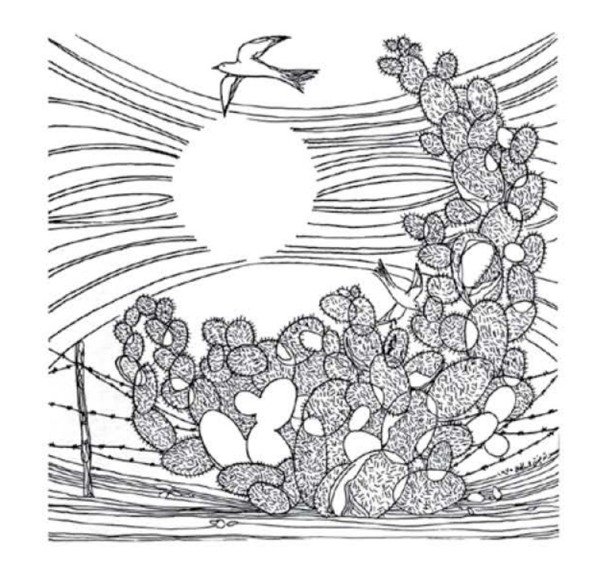
صور متوحشة

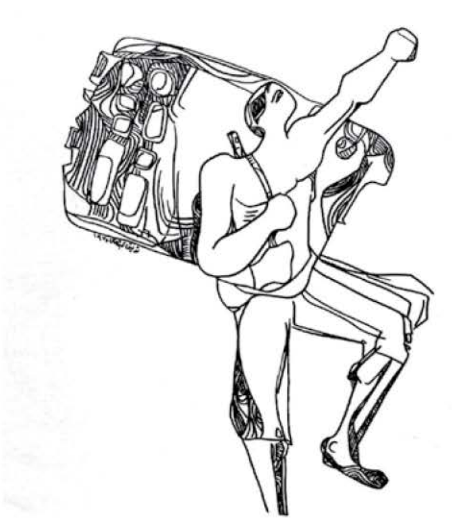
رند مطر *

لمحتها في الطرف الأقصى لغرفة الصف القديمة التي ولجتها لأول مرة، لأجلس على أحد مقاعدها الخشبية المهترئة، أتكبد جراحات ذكريات الطفولة، وأتجرع آلامها وأحزانها، تصطك قدميّ بأقدام الآخرين المتكومة فوق الأرضية المكشوفة، وتضرب ذراعي أذرعهم المتعرقة، وتختلط همساتي بضحكات الأحلام القديمة، التي ما لبثت أن انزاحت حالما شددت بصري نحو الصور المتوحشة المتكدسة على حائط متهدم، متناثرة هنا وهناك، عن اليمين وعن الشمال، تصطادني بنظراتها المتوثبة، التي ترقب ضحيتها ببطء، وهي تتمزق، تقضم لسانها، ويتهدج صوتها، ويسيل لعابها، ويتآكل وجهها، فلا يبقى إلا الأجزاء المحطمة منها..

تحاول أن تُخفي صورتها الأخيرة بقناع ممزق، تشقه النظرات المخيفة، تحاول أن تبتلع الملامح المتبقية، وأكثرها إخافة، تلك الصورة بنظرتها المتحفزة، وشكلها المخيف، وقد بدت لي في غاية الرعب المميت، يخترق صمتها المقيت جسدي وعقلي معًا، فيرتعش جسدي الضعيف ارتباكًا، ويزأر رأسي المحطم صراخًا، تحاول أن تحدث صريرًا يشمل جسدي كله، من قمته حتى أسفله، فيهتز جسدي ويؤزّ عقلي، غرقت، شعرت بحاجتي الماسة إلى الغثيان، إلا أنني تشبثت بمقعدي، كمن يتمسك بالقشة الأخيرة في الكومة السابحة في بحر عميق، لا شاطئ يحدّه، ولا سماء تُظلّه،

* من الأقلام الجديدة في مجال القصة القصيرة - الأردن.





فلا يبقى إلا قشتها الأخيرة، تهزني بكل ثقلي، فأسقط بسبب ضرباتها ودويها وصراخها الملازم لرأسي، مما أورثني دوارًا مفاجئًا، والتمعت عبر صمت الغرفة كل الأشياء الممزقة في ذاكرتي، ذكرتني بها تلك الصور المخيفة المعلقة على حائط متهدم.

كان ذلك قبل شهر، كنت في غرفة الصف أتجرع ملامح تلك الصور المخيفة، أتذكر ملامحها الأولى، إلا أن أشباحها نمت وكبرت، وبدت لي أنها تباغتني بنظراتها ولحظات صمتها، حتى أنهكتني ونهشتني، فلا يبقى في رأسي إلا الأزيز الذي تُحدثه تلك النظرات... ولا يبقى في جسدي إلا الهزات التي تتصاعد باختراق الشرارة التي تلتمع في الزوايا المخيفة المتناثرة هنا وهناك.

وأُجيل بصري فيها، فلا أجد إلا الرؤوس العملاقة تنهال عليّ، محدثة صريرًا يدق رأسي.. والنظرات الغامضة تحدق بوجهي.. وأسقط لحظتها في الهوة السحيقة التي حفرتها لنفسي، فوأدت صرخاتي المرتجفة في أعماقها.

وما زالت الصور المحدقة بي، بعد مضي شهر تقريبًا، ترسم دائرة كبرى حتى أغرق فيها، ولا أجد إلا ضحكاتها المحمومة تشنقني هازئة بي.

وفي غرفتي الباردة، لا يأنس وحدتي إلا نظراتها المحدقة، وضحكاتها الهائجة، عبر صمت الليالي البطيئة.



اعترافات طفل بائس



هاني حواشين *

١- الذكرى فقط

قبل عشرين خريفًا ...

لم أكن "طفلاً" صغيرًا

كنت في شكل أبي

وأنا "طفل" صغير

كنت في همّ أبي

كنت في غمّ أبي

وأنا بعد صغير

لم أكن طفلاً بيوم

لم أذق طعم السرور

إنني دومًا "كبير"

* * *

٢- تلاحم

عندما انشق حذائي،

لم أُذع سر الحذاء

في شقوق "النعل" قد غاص "كعبي"

وبنى "اللحم" على شقّ الحذاء

لم أعد أعرف كعبي من حذائي

صار كعبي .. هو كعبي والحذاء

٣- لوم

بينما كنت أسير

* شاعر – الأردن.

حافيَ الأقدام ما بين وحْلٍ وسيول

مَرَّ من عندي "بفارهةٍ" طول القطار

لم يُحيّي .. لم يُساعد .. لم يطق طول انتظار

ومضى عني بعيدًا بعدما..

رشَّ ثوبي بالوُحول.

* * *

٤- سواسية

ثمّ أضحينا سواء

أنا وصديقي في الشتاء

هو يلتمس الدفء من خيط حرير

وأنا التمس الدفء عشقًا ورجاء

من عيون الأبرياء

* * *

٥- قناعة

هؤلاء الأغنياء

لو يعرفون الفرحة الكبرى التي أحيا بها

عندما آكل خبزًا بعد جوع واشتهاء

عندما أشربُ

عندما تصعدُ روحي للسماء

كيف يغمرني الضياء

لتمنّوا .. أن يكونوا فقراء

* * *

٦- قدَر

أنا والبطريق دومًا

في شقاء

هو يمشي حافيَ الأقدام

من فوق ثلوج القطب

وأنا أمشي من دون حذاء

فوق خط الاستواء

* * *

٧- وأخيرًا:

عندما يبلى قميصي

أذرف الدمعَ السخي

صار جزءًا من كياني..

كيف يبلى .. وأنا حَيّ؟!!.

جرعات

أسماء أبو الذهب *

بدا كأيٍّ يوم مضى. روتينُ الطبيعة تمامًا كبيرَوقرطيِّة حياتي؛ لا يتغيَّران، ولكنَّ هذا اليوم لم ينته كأيِّ يوم، ليس بغروب الشَّمس فوق الأفق بل فوق أفق آخر أشدَّ حُمرة. لو كنت أعلم، لو أنَّنيَ شعرت وأنا أتقلَّبُ في سريري وأُخرس المنبّه بلمسة إصبعي أنَّ هذا اليوم سيكون مميَّزًا أكثر من أن يندمل من وريقات حياتي لما كنت غادرت السَّرير وربّما لتمنَّيت أيضًا لو أنَّني لم أفتح عينيّ لذلك اليوم الذي زعم أنه عاديّ! ما حدث هنا حقيقيٌّ تمامًا بل هو أكثر حقيقةً من وجودي الذي بات مؤلمًا فوق أي مقياس للألم في هذه التي يسمونها الحياة!

ما زلت أذكر رائحة النسيم؛ المعطر بأزهار الحديقة وهو يتسلّل بهدوء عبر نافذتي إلى أعماقي... أستنشق... تتّسع رئتي ثم تضيق... تتّسع وتضيق. نسمات الصباح تلك كانت باردة فلم تملك الشمس الوقت الكافي لتدفئها بين كفيّها. توسعت عيناي الناعستان وأعطتني النّسمات جرعة مثالية مضبوطة الرائحة والبرودة لأكون مستيقظة، على الأقل حتى الجرعة التالية.

راقبتُ الماء يغلي وتلك الفقاعات الصغيرة تتراقص نحو السطح. أصابعي تتلهف للمسها ولكنّي أعرف أن هناك قوانين يجب أن تُحترم وأهمّها قوانين الفيزياء!

أصنعُ قهوتي على مهل فجرعتي هذه لليقظة أهمُّ من سابقتها فهذه ستدوم

* من الأقلام الجديدة في مجال القصة القصيرة – طالبة جامعية – الأردن.

معي لساعات ودون جرعة الكافيين هذه لا أكون نفسي طوال اليوم! عجيبٌ أمرنا نحن أصحابُ هذا الكيف، لكنّني على الأقل لست وحدي المدمنة على تلك الحبّات المحمّصة التي تعطينا هذه النشوة.

تقترب شفتاي من حافة الفنجان العملاق كطفل يقترب من حافة جبل، ويقفز الطفل، أم م م... ثقيلةٌ... كمهام يومي... مع القليل من الحليب... لا تخلو الحياة من الأمل وبعض الابتسامات... وبلا سكر على الإطلاق... تنبؤًا بحياتي بعد اليوم رغم أنّني لم أعلم أنّ ذوقي هذا هو رمزٌ لحياتي بالذّات، للمرارة التي سأتذوقها جرعةً واحدةً... اليوم... الآن يبدو لي التبصيرُ في فنجان القهوة منطقيًا للغاية! ألعقُ شفتي وأشعر بالرضا... قفزة الطفل لم تكن نحو الهاوية... تمامًا كما أريدها. أعانق الفنجان بيدي، بالطبع هو يستحق هذا العناق الحميم ولكنّني كنت أبحث عن الدفء بتشابك أصابعي به. أفتح علبةً أمامي، آخذ حبّة شوكلاتة؛ جرعتي من السّكر، إنّها من النّوع الفاخر. أقضم قطعة صغيرة ثم أرتشف ملء فمي من القهوة، أغرق حبة الشوكلاتة في فمي وأشعر بها تذوب كشمعة. أستمتع بتأثير كلّ منهما معًا وكلاً على حدة! الكافيين والسكر في بدء نهار جديد.

أشعلت التلفاز والفنجان ما يزال يعانق يدي أو تعانقه، لا أدري، فهما على علاقة منذ فترة طويلة. كنت قد أنهيت ما بيدي من شوكولاتة عندما شاهدت نشرة الأخبار وبعد ست دقائق فقط كنت قد أخذت ما يكفيني وأكثر من جرعة الاكتئاب وقلّة الحيلة اليومية، كان عليّ أن أجعلها خمس دقائق! هذه الجرعة هي مشكلتي الحقيقية فهي أكثر الجرعات إيلامًا، هي وحدها من تترك أثرًا لا يمّحي داخلي. إنها الوحيدة بعد القهوة ربّما التي لا أستطيع إيقافها فلو فعلت ذلك فإن جزءًا مني يموت ميتةً أبشع من تلك التي أراها كلّ يوم في تلك الحروب والزّلازل والحوادث والاغتيالات حتى اغتصاب الأوطان ووأد السلام، آه كم تبدو كلمة غريبة في هذه القائمة التي لا تنتهي من المآسي.

أشعر بالمرارة بعد تلك الدقائق الست... طعم الشوكلاتة الحلو اختفى من فمي كما لو أنّه لم يكن هناك قبل لحظات، أنسى كل يوم الاحتفاظ بقضمة لأكلها بعد مشاهدة الأخبار التي تملأ فميَ بذلك الطعم المرّ.

أرتديت ملابسي بعد أن اخترتها بعناية، أمشط شعري وأتزيّن. أنظر لنفسي في المرآة، أعلمُ أنّ هذا كلُّ ما سأحظى به من جرعة الأنوثة، كنت أتمنّى لو أنَّ رجلاً يحبُّني يشاركني إيّاها لكن لا بأس فالجرعات قسمةٌ ونصيب ولم يبق في العمر سوى هذا اليوم.

استقلّيت سيارتي وقبل أن أشغلها أو حتى ألمس عجلة القيادة ضغطتْ أصابعي

بحركة تبدو لا إرادية للنّاظر على الراديو. لن أقودَ قبل أن أحصل على جرعتي من الموسيقى، من فيروز بالتحديد، فروحي لم تتناول شيئًا منذ ساعات. ينسكب الصوت وأبتسم لشجوه، أملأ كأسي وأشغل السيارة بعد أن أرفع الصوت.

الطريق مزدحمةٌ أكثر من أيِّ يوم مضى، أقول ذلك كلَّ يوم، لكنني فيماً بعد أدركت أنّ هذا اليوم كان مزدحمًا بكلِّ شيءٍ فيه لدرجة الانفجار شظايا في وجهي جاعلاً منّي كائنًا مشوهًا من الداخل إلى الأبد. فلأعد للسيارة فتلك اللّحظة لن تهرب لأي مكان كما لن تُزال أيٌّ من الشظايا التي تملؤني الآن وأنا أستذكر ذلك اليوم. أقلّب عينيّ بين السيارات حولي، جميعهم ذاهبون لمكان ما، للمدارس... للجامعات... للعمل. أشعر بسعادةٍ لرؤيتي العالم يتنفس كما لو كان وليديٍ رغمَ أنّ العكس صحيح.

رمقت ساعتي الذهبيّة والتي كان النّظر إليها وللاسم المشهور الذي يدور حوله العقربان بإعجاب جرعتي من البذخ... لم تكن جرعةً كبيرةً على الإطلاق فذلك سيكون مؤذيًا لي ولكن بما أنّ الوقت من ذهب فلا بدَّ أن تكون ساعتي كذلك أيضًا!

أُقنع نفسي أنّني ما زلت أملك الكثير من الوقت لأصل. من المفترض أن أشعر بالضِّيق ولكنَّ الموسيقى العذبة و "طوَّل زعلي أنا ويّاك" تجعل جزءًا منّي يتمنى عدم تحرّك السيارات فعليّ أن أعرف ماذا سيحدث وهل سيطول "الزّعل" أكثر كما لو أنني أسمع الأغنية للمرّة الأولى!

ضاقت عيناي وكاد حاجباي أن يتلامسا بتقطيبتي عندما أفكر بعمق. فكرةٌ جيّدة... هذا ما حسبته لحظتها. ربّما كان الزُّحام أشدّ ذلك اليوم أو أنّ صبري كان أقل بسبب خطأ في إحدى الجرعات أو أن كليهما كان يتآمران عليّ بخسة لإنهائي! سلكت طريقًا فرعيًّا. لم أكن قد سلكته من قبل ولكنّني عبر خريطة رسمتها في عقلي كنت موقنة أنّ هناك طريقًا آخر. كان ذلك صحيحًا فالشارع سار كما بدا في خريطتي التي أراها وحدي؛ خريطةُ البؤس التي رسمتها بنفسي للجحيم.

ابتسمت، فسوف أصل على الوقت تمامًا. أردت أن أصل سريعًا فمخاض فكرةٍ رائعة كان قد بدأ في ذهني، أردتها أن تولد في المكان المناسب؛ في العمل. أُسرع قليلاً أو هكذا خيّل إليّ، أردتُ أن أصل قبل أن تولد فالجو باردٌ هناك لاستقبال وليد!

مرّ أمامي كطيف. مستحيل... أشعر بطرقات قلبي تصمّ العالم. طيفٌ بطول مقدمة السيارة لكنّه... اختفى.. أختنقُ المكابح بقدمي، أترجل ويغدو الزّمن

بطيئًا... أشعر بكل خطوة رحلة جبليّة... مستحيل... وبمستحيل ثالثة أقف على نقطة الصفر حيث يصبح كل شيء بلا قيمة. أراه أمامي ملقىً على الأرض... ليس طيفًا بل... طفلاً. لا يمكن أن تكون البركة التي تتسع تحته من الدّم. أجثو على ركبتيّ ولا آبه للدّم المتفجر تحتهما فهناك الكثير من الدم في هذا السطر الملعون من حياتي. أعانق الطفل... أشعر به في يديّ... ليس طيفًا... أتلوّن بدمه وأعلم أنّني مرئية... لا لست شفافة... أنا حمراء... تختلط دمانا كما لو كنّا أُمًّا وجنينًا في خلوتنا المكونة في تسعة أشهر داخلي... وتفسد في تلك اللحظة جُرعة الأمومة التي كنتُ أصبو يومًا لها... أطفالي كلهم يموتون أمامي فيه... هذا الفتى الجميل... المشرّب بالدّم أكثر منه بالطفولة. كان عليه أن يكون في المدرسة الآن يتعلم قواعد اللغة ليكتب قصيدة لأمه في عيدها، أن يتعلم الحساب ليدرك ذلك المنطق الرقمي للأشياء، أن يتعلم التاريخ ليغيره فما يعود مليئًا بالهزائم وأن يتعلم كيف يجعل حياته تستحق تلك الأنفاس التي يملكها الآن... بسببي أنا.

لم أصرخ... لم أجرؤ على إيقاظه فقد كان يبتسم. بدأ الناس بالتجمع وهم يشاهدون هذه الدراما التي تصادف أنني بطلتها ولكنّني لم أشعر بهم فقد كنت والطفل وحدنا في لحظة ولادته من رحم الحياة... ويا لها من ولادة مبكّرة.

لقد خرج مسرعًا أمامي... لم يلتفت... هل كنت أقودُ بسرعة؟... هل كنتُ أفكِّر بالعمل أكثر من مخطط حياتي الذي انتهى هنا؟... هل وهلَ وهل...و لم تنتهي هذه ال "هل". ووصلت أصعبها... هل قتلته؟... أصعب سؤالٍ مرَّ عليَّ. وبقي معلّقًا أجيبه تارةً بنعم وأخرى بلا وبذلك كان ينصب مشنقتي ويفكّها وينصبها و...

لم أنظر للساعة في يدي والتي تلونت بدم تلك اللحظة وأصبحت ساعةً من دم... تمامًا... كانت الساعة الثامنة. سمعت صوت جرس مدرسة. ترتجف أصابعي للنبض المخروس وأتساءل من منّا أعطى الآخر هذه الجرعة من الموت... من منّا أعطى الآخر مرةً واحدة هذه الجرعة القاتلة من كل شيء لا يتصل بالحياة بصلة مهما كانت ضئيلة؟ من منّا قتل الآخر؟



نصّ

ترتيب

سامية الناصر*

أهرب من ليل القهر
وأصل إلى حجرات قلبك
لأول وهلة
يُدهشني كل ما فيه من فوضى
ففي الزاوية جرة خمر
وعلى الطاولة باقة زهر
وفي الصحن
بعض سنابل الفقر
أبدأ بالترتيب من أول السطر
أُنسّق الأزهار في إناء
لينتشر العطر
أُلملم بقايا الحزن
وأملأ الرفوف بالشعر
أشعر أنني في بيتي
في وطن العمر

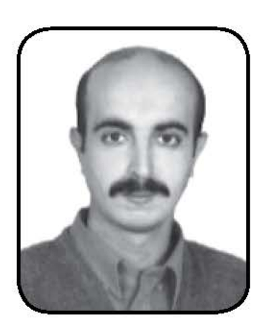
أُصفّر لحنًا لأغنية
تصفع اللؤم والغدر
وتحتفي بالحب
وبنور الفجر
أشعر بالتعب
فأرتمي في سرير أحضانه
وأظل أعدّ وأحصي
نبضاته وألوانه
أزرع الجنون والفرح
وأمسح أشجانه
أُطل من نافذته وأصرخ:
مجنونة أنا بك حتى الثمالة
فأسمعك تهمس لي وحدي
ألف مرحى للجنون
إذا كانت هذه أحواله وأشكاله!!!

* من الأقلام الجديدة- الأردن.





نصّ



فن الحياة

بلال الشبول *

لم تُرهبه أشعةُ الشمس بكل وهجها وحرارتها.. كان هناك شيء أكبر من ذلك يشغل باله ويُنسيه جنون الشمس ولهيبها... يسير بكل حرص وأمل متنقلاً من مركبة إلى أخرى ينثر أخبار الصباح إلى جميع خلق الله... محتفظًا بنظرة التحدي والعزيمة في عينيه... على الرغم من صغر سنه إلا أن له فلسفته الخاصة به... ينظر إلى أبناء جيله بعيون الرضا والمحبة... لا يتبرم لأن من هم في سنّه يذهبون إلى المدرسة يوميًا ولديهم آباء يُلبّون جميع مطالبهم... فمستوى تفكيره يفوق عمره ويشعره بالرضا...

فهذا الكون الواسع لا يعيش فيه جميع البشر بنفس الظروف الحياتية... منهم من يزداد امتلاءً ولا يعرف أين يقضي وقته وأين ينفق ماله الفائض عن حاجته فيتجولون بين عواصم العالم كما يتجول هو بين المركبات ليبيع قدر استطاعته... وهناك فئة أخرى تصل الليل بالنهار لتأمين أدنى متطلبات الحياة... ويستغرب لماذا كل هؤلاء الناس بجميع فئاتهم يتبرمون ويضيقون بهذه الحياة... طالما أن لكل واحد منهم رسالته وقيمته في الحياة... وطالما هذه الحياة محدودة وجميعنا نمضي إلى نهاية واحدة، ما

* من الأقلام الجديدة في مجال القصة – الرمثا – الشجرة – الأردن.

أن نكون تحت التراب حتى نتساوى... لماذا ينظر البعض الآخر بطبقية؛ فحتى تكتمل الحياة لا بد من فقير وغني... وإذا ما اختارني الله لأكون من طبقة الفقراء... فليكن! فهذه هي الحياة.. تلك كانت فلسفته التي لم يتعلمها في المدارس... بل تعلمها من عمله اليومي في بيع الجرائد ومن كلمات أمه.

بداية كان يضيق بعمله ويشعر بالسخط على كل من حوله.. لماذا هو!... لماذا كل هؤلاء الأطفال يركبون السيارات فرحين مع والديهم يلبسون ثيابًا نظيفة لا همّ لديهم... فجميع طلباتهم متوفرة.. بينما هو المعيل الوحيد لعائلته... والده خلّف له هذه المهنة ورحل عن هذه الدنيا... بالإضافة إلى ثلاثة إخوان صغار ووالدته الضعيفة. فهو المعيل الوحيد لهم. ولكن ما يجده عند عودته إلى بيته من أم صبورة حنونة رقيقة يُنسيه تعب يومه ويُخمد نار القهر التي بداخله فكلماتها لها الأثر الكبير في نفسه... تزرع في داخله الرضا والثقة... وتروي قلبه محبة.

فالنظر في وجه أمه يزيده أمنًا وعزيمة... علمته أن السعادة لا تُؤتى بالمال وأن هؤلاء الناس الذين يراهم وسط مركباتهم بوجوه ممتلئة لا يعكسون دواخلهم... علّمته أن السعادة تنبع من داخل الإنسان... متى وجدها ستبقى داخله ولو قطع جسده أمام عينيه... وإذا ما فقدها لن يجدها ولو ملك الدنيا وجاب أرجاء الكرة الأرضية... لأنها بداخله... وسيجدها فقط إذا بحث داخل نفسه. لذلك أصبح ينظر إلى عمله بكل جدّية.. فليست طبيعة العمل ما يجلب السعادة... بل تستطيع أن تنثر السعادة بأي عمل تعمله... لا بل أصبح يشعر بالسعادة أكثر من أولئك الجالسين داخل سياراتهم تخنقهم ربطاتهم بوجوه لا تتقن سوى لغة الأرقام... وكأنهم عبيد لعملهم... ويشعر ببرودهم الإنساني عندما يلتقط من أيديهم ثمن الجريدة... وعندما يرى غيره من المشردين والمتسولين.. عندها يُقدّر حجم النعيم الذي يعيشه... فله بيت يُؤويه... وعائلة تحتضنه.





قصة

نافذة بوح

ريم أكرم زيغان *



عزيزي صادق:

ها أنا أخيرًا قد قررت أن أكتب إليك، رغم أن كلينا يعلم كم يقع هذا العمل ضمن اللامعقول عندي -وكان انفصالنا قبله لا معقولاً أيضًا- على أية حال، أستطيع أن أرى اتساع عينيك دهشة عند تسلمك رسالة مني أنا، ولي رجاء وحيد ألا تحاول أن تسألني لماذا كتبت لك وألاّ تراجعني فيما كتبت مطلقًا- إن قُدّر لي أن أراك يومًا.

لقد قررت أخيرًا اعتزال صنعة الكتابة ومجالس الأدب.. وللأبد، وإيّاك أن تتسرع بالحكم على قراري وتدّعي أنه وليد لحظة جنون، أو تتهمني بحاجتي إلى الاهتمام، وأن هذا ما هو إلاّ زوبعة أثيرها لأعود "مركز الأضواء" -كما كان يحلو لك أن تقول-، فأنا ما زلت مركز الأضواء وأنت أول من يعلم ذلك، إلاّ أن كل ما في الأمر أنني اكتشفت -أخيرًا- أن هذه الأضواء تُعميني عن حقيقتي وأن كل ما تُنيره لي هو الطريق الذي يريد الناس أن يرونني به وليس الطريق الذي أجد ذاتي فيه. قد تقول في نفسك: أليس هذا هو الطريق الذي اخترته لنفسي لأنني أثبتّ ذاتي فيه؟! نعم، فعلاً هذا كان في البداية، إلا أنه كبّلني وقيّدني ولم يسمح لي يومًا بالرجوع أو حتى اختيار طرق فرعية أخرى، كنت أظن أنني أعيش حريتي وأنا اختار هذا الطريق ولم يخطر لي يومًا أنني أصبحت أسيرته، لا تتعجب، نعم كلنا أسرى للطرق التي نختارها بحريتنا، والطرق التي

* من الأقلام الجديدة – الأردن.

نستطيع التمرد عليها هي -فقط- تلك المفروضة علينا فلا أحد يمكنه أن يلومنا على تمردنا -إن تمردنا-.

لقد اخترت أن أكون كاتبة وشرقية، ولم أعِ يومًا صعوبة هذين الاختيارين، وتحديدًا إذا اجتمعا. أراك الآن تقتبس عبارتي وتقول لي: "صاحب المبدأ يموت دون مبدئه ولا يتزحزح عنه قيد أنملة لأنه كان اختياره وقناعته، وللقناعات جذور ممتدة" سأقول لك نعم، لكن ما الذي يحدث لو تخلخلت هذه الجذور، أيبقى متشبثًا بالأغصان بحجة أنه صاحب مبدأ؟ وإن هذا المبدأ كان من اختياره؟ دعك من هذا كله فقد سئمت من الحصار الذي تفرضه عليّ هذه الاختيارات في كل جزئية من حياتي؛ في كلامي، وملبسي، وساعات نومي، وطعامي وشرابي وحتى في أبسط الأشياء التي قد لا تخطر على بال. أتتذكر يومًا جلوسنا في الشرفة عند المغيب، كنت صامتًا تحدق في السماء، وأنا كنت مشغولة بالقراءات النقدية عن روايتي الأخيرة، كنت ترتدي قميصك الأزرق ذا الخطوط البيضاء وكان يزيدك سحرًا، أعلم أني لم أخبرك بذلك يومًا وأعلم أيضًا أنك لا تتذكر ذلك الموقف فقد كان اعتياديًا بالنسبة إليك، إلا إنه أحد مواقفي التي لا يمكن أن أنساها. طلبت مني وقتها أن أحدّق معك في الشفق الأحمر الذي كان قد بدأ يحتل السماء، أخبرتني وقتها أنك تعشق اقتحام حمرة الشفق لزرقة السماء وأن هذا المشهد يعطيك سكينة وأملاً كلما نظرت إليه، كنت بذلك ترمي إلى إحدى رواياتي التي أذكر فيها أن المشهد ذاته هو الذي كان يثير في نفس البطلة حزنًا وحقدًا ويدفعها للبكاء، حينها ألقيت نظرة عابرة بالاتجاه الذي تريد، واتهمتك بأنك لا تشعر بحقائق الأشياء، وأنك لا تجيد التفاهم مع الطبيعة! لكن... أتعلم أنني أعشق حمرة الشفق، بل أتعلم أنني منذ صغري كان الأحمر أحب الألوان إلى نفسي؟ ولكنني شعرت فيما بعد أن صخبه وطاقته لا يليقان بي فقررت بأن أحب اللون الأزرق.

لست أدري لماذا أخبرك بهذا؟ ولكنني شعرت بأنك صاحب الحق الوحيد لمعرفة هذا التغير، أيكون صورة من صور الاعتذار؟ ربما، ولكنني لا أحب أن أفكر بالأمر على هذه الطريقة. بقي أن أذكر لك أن لا أحد سوانا -أنا وأنت فقط- علم أو سيعلم بقرار الاعتزال هذا، وللناس أن يستنتجوه استنتاجًا إذا شاؤوا.

المخلصة

رهف

ملاحظة: يؤسفني أنك لن تتمكن من قراءة هذه الرسالة، فأنا لم أتمكن من إرسالها إليك لاعتبارات... شرقية

نصّ

هناك أعظم

أسماء الخزاعلة *

كانت تلك العبارة التي شهدتها وما زال صداها في مسمعي وذاكرتي فيما كان هو يحتضر، وهي إلى جانبه، يدها بيده، تدنو منه بكل ما فيها وعيونها قد تفجرت بالدموع ونفسها قد تفطرت حزنًا، وهو على ذاك السرير، تكاد نظراته تخبو وجبينه الوردي قد بات بلا لون، وقد امتدت يداه لتمسح دموعها وتلامس خدها الذي احترق بكاءً.

أحسست وقتها أن الوداع قد اقترب، وأن المكان ينذر بالموت، وأن كل ما فيّ أنا ومن حولي يحتضر إلا الحب، فهو يولد ويكبر ويعظم كلما ارتقت الروح إلى السماء.

قال لها: لا تبكي، فرحلتي الآن أشعر أنها بدأت، وعذابي في الدنيا يفارقني الآن، فلقاء الله أعظم مما على الأرض، وأنتِ كما أنت في قلبي، وفي السماء من سيجمعنا كما كنا على الأرض.

فقالت له: ألا تذكر أيامنا وحبنا وسنين العمر؟ أتنسى يا حبيبي ما قد كان بيننا؟ أتفارق لتتركني لوحدتي ودموعي؟

* من الأقلام الجديدة في مجال القصة - الأردن.



وفي لحظات الهمسات الأخيرة انطفأ موقد الكلمات الحارة، واسودّ المكان وهيمنت الدموع على النظرات، فلم أعد أرى شيئًا بعدها.

لقد مات... وكنت لأول مرة أعرف ما معنى أن يموت الإنسان، وأودعوه حفرة وأهالوا عليه التراب، وقالوا لي إن روحه قد فاضت إلى السماء... فسألت من حولي يومها ودموعي تنهمر: هل سيلتقي بها فعلاً كما قال؟ هل سيراها يومًا ما؟ فأجابوني: نعم، وخيّم الصمت عليّ وبقيت في ذهولي هذا وكأنني أنتظر اللقاء أو أستعجله.

أما هي، فقد لبست السواد، وكثيرًا ما كنت أراها تجلس إلى جانب قبره وكأنها تحاكيه بدموعها ونظراتها...

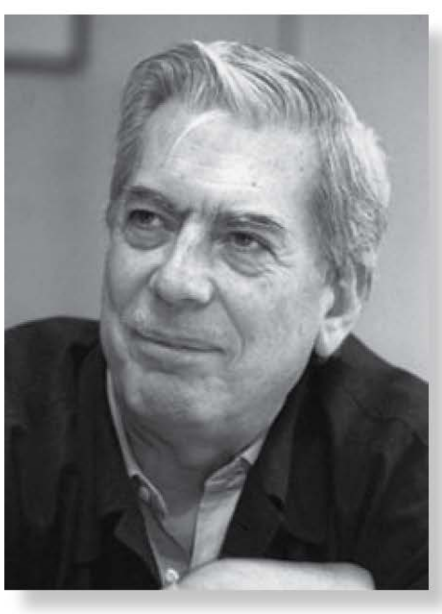
بعد ذلك بعام.. قُدِّر لي أن أراها ثانية بثياب غير ثيابها، ووجه غير وجهها فأسرعت إليها وسألتها عن صاحب القبر وهل ما زالت تنتظر اللقاء؟

فأجابتني: لقد كان هناك وعدٌ وانتهى، فصاحب القبر بات ترابًا، وهي الآن تحب من يطأ التراب...، فتذكرت عند ذلك عبارته التي قالها وهو يحتضر: لقاء الله أعظم مما على الأرض.

ماريو بارغاس يوسا: ورواية حفلة التيس

مدير التحرير

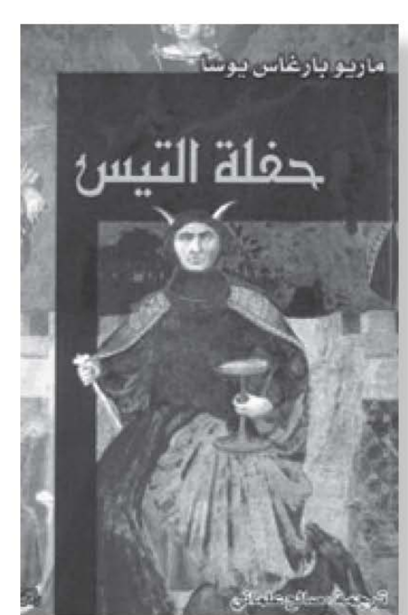
ولد الروائي ماريو بارغاس يوسا في البيرو عام ١٩٣٦ وبرز في عالم الأدب بعد نشر روايته الأولى "المدينة والكلاب" التي نال عليها جوائز عديدة منها جائزة "ببليوتيكا بريفي" عام ١٩٦٢، وجائزة "النقد" عام ١٩٦٣، وترجمت إلى أكثر من عشرين لغة أجنبية، وتتالت أعماله الروائية، وتعددت الجوائز التي حصل عليها، وقد كان آخرها حصوله على جائزة "سرفانتس للآداب" التي تعد أهم جائزة للآداب الناطقة بالأسبانية.



ماريو بارغاس يوسا

وفي روايته "حفلة التيس" يستعيد الروائي "ماريو بارغاس يوسا"، وبكثير من المرح، والمذاق الذي يُميّز طريقه الكلام

الدومينكانية، يستعيد مرحلة تاريخية قاتمة في حياة جمهورية "الدومنيكان" الصغيرة حيث يقدم نموذجًا للقائد "التاريخي الملهم تروخييو"، الذي أنزل بشعبه من الآفات والمصائب والأهوال ما يتسامى القلم عن تدوينه، وقد استطاع ماريو بارغاس رسم صورة مرعبة لذلك الطاغية، مستعينًا بحسّه الروائي العميق، وبتجربته الأدبية الفنية، في تقصّي فترة تاريخية، سياسية يصعب على الرواية تناولها بالشكل الذي أظهرته رواية "حفلة التيس".



والقلقة، فتتحاور بخوف، وتحيا بخوف، وتموت بخوف... لكنها تتغلب في النهاية على هذه العقدة، وتقتل الطاغية، وبشجاعة هذه المرة بعد مرور أكثر من ثلاثة عقود على حكمه البغيض.

ففي الثلاثين من أيار ١٩٦١، تمكن كمين نصبته جماعة من الثوار خارج مدينة سانتو دومنغو، وكانت تسمى "مدينة تروخييو" من قتل رجل الدومينيكان القوي (الزعيم والرئيس الموقر والمنعم إلى الوطن، ومستعيد الاستقلال المالي، وأبي الموطن الجديد فخامة الجنراليسمو الدكتور رافائيل ليونيداس تروخييو مولينا)!!!

ثمة وصف عميق ودقيق لدواخل الشخصيات ومشاعرها، وحالات الهلع والذعر التي تنتابها، ووصف آسر للشوارع والبيوت والحدائق والطرقات والروائح، وزرقة البحر وفق منحى بصري لا يترك شيئًا إلاّ ويجد له حيزًا في رواية الأرواح الباحثة عن الطمأنينة في تضاريس تلك الجمهورية المضطربة

حول ذلك الطاغية المتوحش، وتفاصيل حكمه المرعب للدومينكان تدور أحداث هذه الرواية الرائعة. يُذكر أن ماريو بارغاس يوسا أصدر العديد من الروايات الهامة منها: السعادة على الناصية الأخرى، وشيطنات الطفلة الخبيثة، وامتداح الخالة، ودفاتر دون ريفوبرتو، وغيرها.



لماذا توقفت عن التسوّق!!

قصة: جيم فابيانو
ترجمة: حسام حسني بدار*

في تلك اللحظة، بدا لي أن الزّمن قد توقف عن الحركة. كنت أتمشّى بين رفوف أحد المخازن الكبرى في سوق تجارية لأكمل احتياجاتي من أغراض عيد الميلاد عندما انطلقت فجأة إنذارات التحذير من السرقة. وتوقّف كل من في المخزن عن فعل ما يفعله، وأخذ الجميع يحدقّون في وجهي. وبما أن ذلك حدث قبل مجيء عيد الميلاد بأسبوع، فقد كان المخزن ممتلأعن بكرة أبيه بالمتسوقين الذين أوقفوا نشاطهم ليروا ذلك الشخص الذي يُحاول أن يسرق من المخزن. وبعد مضي عدة ثوان ركض أربعة من موظفي المخزن إلى المدخل حيث كنت واقفا. وكان أحدهم يحمل نوعًا من أجهزة اللاسلكي بينما كان الآخرون يرتدون زيًا موحّدًا. وخلال ثوان أخرى انضم إليهم شرطي تابع للسوق لكي يُقوّي من شوكتهم. ولم يقولوا شيئًا عندما وصلوا إلى هناك، بل فعلوا ما فعله زبائن المخزن، أي أخذوا بالتحديق في وجهي.

وعندما وصلت الأمور إلى هذا الحد، ظننت أن من صالحي أن أقول شيئًا مثل: "إنني داخل إلى المخزن، ولست خارجًا منه" ولكن كلامي هذا لم يُغيّر من الوضع شيئًا، واستمر الجميع في التحديق. وأخيرًا سألني أحد من يرتدون الزي الموحّد فيما إن كنت أخفي شيئًا في جيوبي. وكررت كلامي بأنني كنت

* مترجم له العديد من الترجمات الأدبية عن اللغة الإنجليزية – الأردن.

داخلاً إلى المخزن لا خارجًا منه. وكرّر ذلك الرجل استجوابه لي فيما إن كنت أخفي سلعة ما داخل جيوبي. وتذكرت أنه -وبما أننا كنا في آخر شهر في السنة وكنت أرتدي معطفي الشتوي- كان لدي العديد من الأماكن لإخفاء الأشياء. وفكرت أنه لو خطر ببال هؤلاء القوم أن يفتشوني لكانوا بحاجة إلى كامل طاقمهم لإتمام هذه المهمة. وقلت مستظرفًا: "لعله بسبب شيء أكلته؟!" ولكن ظُرفي لم يُفلح في تخفيف حدة نظرات زبائن وموظفي المخزن. وأخيرًا أخبرني الشرطي بأن لا أقلق على أي شيء، فقلت له بأنني لست قلقًا على أي شيء.

وسرعان ما عاد كل شخص إلى سابق عمله، وذهبت أنا إلى أحد الرفوف لمتابعة مشترياتي. أمّا لماذا لم أُغادر ذلك المخزن في التّو فقد كان أمرًا يفوق استيعابي، ولكني أظن أن ذلك كان نوعًا من المكابرة.

ومشيت إلى حيث كانت سترات جلدية معروضة، وشعرت أن عيون الزبائن والموظفين لا تزال مسلّطة عليّ. وكنت آمل بشدة أنهم جميعًا عرفوا بأنني كنت قادمًا إلى المخزن لا خارجًا منه عندما انطلقت صفارات الإنذار، وبأنني لم أُحاول أن أسرق شيئًا... ولكن ظني لم يكن في محله. ففي طريقي إلى أحد حواجز المحاسبة لأسدّد ثمن السترة، التي لم أحبها ولكني كنت مرغمًا على شرائها، لاحظت أن أحد المُتسوقين توقّف عن النظر إلى السلعة التي بين يديه عندما اقتربت منه، وأن المتسوقات أصبحن أكثر التصاقًا بأطفالهن مما كنّ عليه قبل انطلاق الصفارات اللعينة. وبالرغم من أن البالغين من الموجودين توقفوا في النهاية عن النظر إليّ، إلاّ أن الصغار لم يحذوا حذوهم.

وبعد أن دفعت ثمن مشترياتي، بدأت أسير إلى الباب. وقبل أن أُغادر تمامًا عاودني القلق: إذا كان إنذار السرقة قد انطلق عندما دخلت المخزن... فما الذي يمنعه من الانطلاق وأنا أخرج منه؟ هل كُتب علي أن أبقى في مخزن ملابس لا أعرف حتى كيف أنطق اسمه؟ ثم ابتسمت لنفسي مستبعدًا هذه الهواجس، وقررت أن أسير إلى الخارج. وبالتأكيد... حدث ما كنت أخشاه، وانطلقت صفارات الإنذار. ومرة ثانية، عاود كل شخص النظر إليّ كما لو كنت قادمًا من كوكب آخر. وفي هذه اللحظة شعرت بالقلق، فقد كنت خارجًا من المخزن... لا قادمًا إليه. ومن جديد، ركض موظفو المخزن إلى حيث كنت أقف.

ولما تبينوا أن سبب الجلبة هو أنا ثانية، انضموا إلى الواقفين وأخذوا بالتحديق. وجاءت مديرة المخزن إليّ، وأخبرتني بألاّ أقلق حول ما جرى، واعتذرت لي عن الإزعاج الذي سببته لي هذه الآلات. وتجولت في ردهات ذلك السوق وأنا أتساءل فيما إن كان من الممكن لي الدخول إلى أي مخزن من جديد.

وفي الواقع ظننت لبضع ثوان بأنني اكتشفت سببًا لكي لا أعود للتسوق ثانية، فلعل كيمياء جسمي قد تغيرت إلى الحدّ الذي يُحدث نوعًا من الاستجابات الجينية التي تُطلق موجات من الطاقة التي تتطلب حرماني من دخول أي مخزن إلى الأبد.

وبينما كنت أُتابع سيري بين محلات ذلك السوق، لاحظت أن القليل من الناس يجرؤ على السير بجانبي أو حتى بالقرب مني... بل أنه خُيل إليّ أن "سانتا كلوز" الذي يقف أمام أحد مخازن الألعاب رمقني بنظرة احتقار عندما مررت بمحاذاته متقدمًا طابورًا طويلاً من الأطفال الواقفين في انتظار الحديث معه. وأظن أنهم أيضًا قد أوقفوا حديثهم معه ليتأملوا الرجل الذي يتسبب بإطلاق كل هذه الصفارات. ولما توغّلت بالسير قليلاً، لاحظت أن التُجّار قد بدأوا يخفضون بوّابات محلاتهم لحماية بضائعهم من أُناس على شاكلتي، وأن الأضواء أخذت تُطفأ من حولي. ووصلت إلى بوابة الخروج، وعندها قررت أن أُدير رأسي، أحرجني أن كل شيء في السوق قد عاد إلى حالته الطبيعية.

وأثناء توجّهي إلى شاحنتي، لاحظت أنه ما من أحد أوقف مركبته بجانبي. وسرت مبتعدًا عن السوق وعن المكان بأكمله، وخُيّل لي أن السيارات القادمة إلى موقف السوق كانت تُنزل نوافذها لتتيح لركابها التحديق في "الرجل الذي يتسبب بإطلاق صفارات الإنذار". وتساءلت في نفسي إن كانت زوجتي وابنتي ستسمحان لي بعد كل هذا بالتسوّق ثانية، وهل كان هناك اتصال مداري يُحذّر العالم من أشخاص مثلي؟ وهل...؟ ولم أستمر في تساؤلاتي... فقد أيقظني صوت زوجتي من النوم.

---

* جيم فابيانو: من الأقلام الجديدة في مجال الكتابة القصصية في أميركا، ويعمل في التدريس.



افتتاح أعمال البناء في قبو

للشاعرة الرومانية: أندرا روتارو
andra rotaru

ترجمة: زياد أبو الهيجا *

جرى افتتاح الورشة في ذلك القبو

وكل ما أتذكره:

عام ١٩٨٠ حين ولدنا سويًا في حضن أبيض

وباشرنا التمرين لبناء العالم

وتحطيم جدران القداسة

وبقينا لزمن طويل.. نرتاح في منزلي

دون أن نسمح للعالم بأن ينفذ إلى تعبنا

الآخرون نظروا إلينا...

وكأننا نقوم بأشغال مثيرة

سوف ننفذ دومًا من تلك الجدران..

وسأخفي دائمًا قدرتي على حمل الفراشات

لقد ثقبت أجنحتي

خلال سعيي لاختيار الحقائق

وحملها على كتفي

مع الاحتفاظ برائحة الجذور

صرت أرغب بحفرة كبيرة أتمدد فيها

ضمن بيت هستيري

مع جميع الأفكار التي لا تُلغى أبدًا

* كاتب ومترجم أردني مقيم في رومانيا

وبدون أي زاد

وبعض الملابس الرمزية فقط

ملابس لا تمنحني الوقت لأعتني بعواطفي

عواطفي الكبيرة وغير المشبّعة

حبي هو موت..

موت على سماء زرقاء

خالية من الخدوش

في عمرنا..

هناك شيءٌ يستحق التركيز

لا أدري ما هو

فكلما نظرت إلى الأعلى

أسقط سريعًا!

وألمس الريح وهي تُوسّع المجال

أمام فرح مستحيل

وتُظهر إمكانية التركيز

على الشيء الذي يستحق ذلك

ولكن البذاءة تحاصر كل شيء

من في داخلي؟

أريد استيعاب الإمكانيات

لأغرق في الحلم البنفسجي

الحلم الشفاف للمراهقة

الحلم الذي يملأ بؤبؤ العين

قبل أن يتحرر

ويُبعدنا..

دون أن نتمكن من إنقاذ شيء

أرغب في فقدان قدراتي

ورؤيتي

وأحلامي

بدونك

بدون أحلام

بدون احتفالات

• أندرا روتارو: مواليد بوخارست عام ١٩٨٠، صدر لها في العام ٢٠٠٥ مجموعتها الشعرية الأولى (تحت غطاء أبيض)، مُنحت على أثرها جائزة ميهاي ايمنيسكو، كما حصلت الشاعرة على جائزة تودور أرجيزي المخصصة للشعراء الشباب، وحصلت في السنة نفسها على جائزة اتحاد الكتاب الرومان.



ملل دائن رقمي...
ضاق خلقي

محمد سناجلة *

صحوت اليوم من النوم وأنا مفتقد للرغبة في عمل أي شئ... وأنا في الفراش ما بين نوم وصحو، شعرت به يتسلل برفق وهدوء إلى مسامات روحي، أعرفه تمامًا حين يأتيني... هادئًا حنونًا ومدمرًا ومبدعًا في ذات اللحظة.

الملل....

بقيت ساكنًا مخدرًا في الفراش...

لم أذهب للعمل...

قررت أن أستقيل منه بشكل نهائي، ممل تمامًا أن تضطر كل يوم للصحو مبكرًا لتذهب لعملٍ لا تحبه وتشعر بأنه ينتهك إنسانيتك!

عمل ممل تمامًا لا بهجة به.

ماركس قال إن العمل هو عبودية القرن العشرين

أوك

لقد انتهى القرن العشرون لكن هل انتهت العبودية؟

اليوم أيضًا هو إجازة من عملي الآخر كصحفي رقمي في أحد المواقع الالكترونية الكبرى.



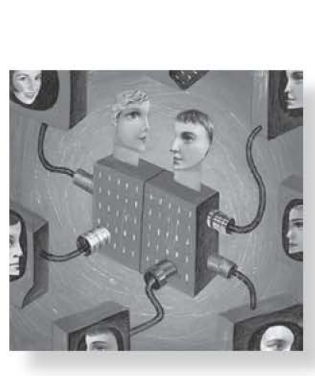
* روائي ورئيس اتحاد كتاب الانترنت العرب، عضو هيئة التحرير - الأردن

هذا عمل مختلف، أحبه وعن طريقه حققت حلمي في التحول إلى إنسان رقمي بالكامل.

على الأقل أنا غير مضطر إلى الصحو مبكرًا واللبس ومغادرة المنزل وقيادة السيارة في زحمة المدينة الخانقة ساعات الصباح، هنا أنا أعمل من بيتي وأكون "أون لاين" طوال الوقت مع أصدقاء وصديقات رقميين أحبهم ويُرضيني أنهم يحبونني... ندردرش ونعمل.

أحيانا كثيرة لا أغادر منزلي لأيام وأيام، أبقى "أون لاين" أعمل، ألهو، أقابل أصدقائي وصديقاتي على النت، وأشعر بالاستغناء تمامًا عن هذا الرعب المسمى العالم.

مللٌ أيضًا...



هو عمل في النهاية...عبودية رقمية!

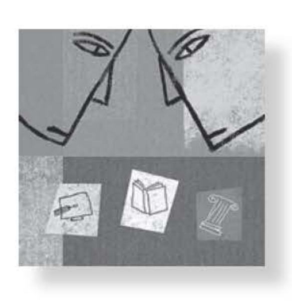
حتى الانترنت ذاتها تصبح نمطية ومملة، ماذا ستفعل؟ تتجول في صفحات الويب، بعد لحظة الاكتشاف الأولى أو الانبهار الأولى حين تعرفت منذ زمن معتق على النت، بعد مضي تلك الخوالي تعتاد أو تصبح الأمور نمطية أيضًا، يصبح لديك عدد معين ومحدد من المواقع التي تدخلها وتتجول بها ولا تكاد تذهب إلى سواها.

تصبح الإنترنت حارة معروفة الشوارع والطرق ..ومملة.

أفضل شيء ألاّ تفعل شيئًا على الإطلاق، أن تبقى ساكنًا وخاملاً بلا عمل ومسؤولية

لكن...

أتذكر أنني قبل سنوات حين كنت عاطلاً عن العمل بعد إنهاء دراستي الجامعية شعرت بالملل أيضًا، شيء ممل جدًا أن تكون بلا



عمل يشغلك أو مسؤولية تحمل همها.

ممل جدًا أن تكون مملاً.

اللعنة ما الذي تريده أنت؟

- مجنون
- بل أنت المتغابي
- ممل
- بائس
- اذهب عني
- ومن قال أني أريد التواجد معك.. هه

صرفته بسهولة وعدت لكسلي اللذيذ...

يوم الأحد عادة ما استغله في إجراء عدد من المقابلات الرسمية في النهار، وفي المساء التقي بأصدقائي في بار صغير وسط البلد، هادئ ولطيف، وبه نادلة أحب أن أراها، بيننا عشق صامت وممل حدّ الكآبة.

أطلّ برأسه مرة أخرى

- هناك أشياء كثيرة عليك عملها...الوقت، الوقت
- الوقت محرقتي
- نعم فاحذر أن تحترق
- انصرف
- لن أنصرف
- سأنتقم منك ومن وقتك اللعين هذا سأحرقكما معا

أشعلت سيجارة وقررت أن يكون هذا يومًا مختلفًا، لا عمل، لا مواعيد، لا مقابلات ولا سهر ولا انترنت.

و...قررت أن أكتب...نعم أكتب

من زمان زمان زمان لم أكتب... يا الله هناك أفكار كثيرة عندي،

روايات وقصص وحكايا، وهناك برامج الكترونية كثيرة ينبغي علي أن أتعلمها وأتقنها، كم أهمل نفسي ومن أجل ماذا؟

علي أن أرجع للكتابة، هناك فكرة مدهشة جدًا، لو أنجزتها ستكون شيئًا مختلفًا تمامًا، تجاوزًا حقيقيًا لي، ينبغي أن أتحداني مرة أخرى.

تأملني ساخرًا وابتسم ثم مضى بهدوء...

- يعرفني الوغد

الملل هو الحافز الحقيقي في حياتي، لم أفعل شيئًا إلا وكان خلفه الملل.

أملّ واسأم فتأتيني الأفكار المجنونة والتي تبدو مستحيلة التحقق، وهنا يذهب الملل ويأتي شعور آخر هو التحدي...

قمت من فراشي بتثاقل والأفكار تتلاطم في أعماقي، صنعت قهوتي، وبحركة آلية تمامًا كعشق قديم فتحت الكمبيوتر وجلست، الايميل ممتلئ كالعادة برسائل وطلبات وأسئلة ينبغي الرد والاجابة عليها..قررت أن لا أرد على أحد.

دخان القهوة المرة يتصاعد مع دخان سجائري، وصوت فيروز ينساب بهدوء ورقة متفجرة كمللي...

"تعشق علي اعشق

ما بتعشق لا تعشق

مش فارقة معاي"

ترى كم من الوقت أخذ الأمر مع فيروز حتى تصل إلى هنا

من "حبيتك تا نسيت النوم" إلى "مش فارقة معاي"

ثلاثون سنة، ربما أكثر قليلاً...

أوك

لنختصر الزمن

sanajleh@yahoo.com



كتابات العدد الماضي



محمد ضمرة *

حفل العدد الماضي من المجلة بعدد كبير من المواد الإبداعية للأقلام الجديدة التي تعد بالكثير من العطاء والتميّز في مختلف أجناس الكتابة الأدبية شعرًا وقصة ونصوصًا.

وهي وإن كانت قد تفاوتت في مستوياتها الفنية، إلاّ أنها استوفت الشروط التي تؤهلها للنشر.

- **ضحية وحيدة: تقوى مساعدة**

هي متعة الشعر، حينما يتصبب كلمات في ناي الراعي، أقصد حينما يتحول إلى لحن يتماهى مع ضربات أوتار القلب، والروح، لينبعث إلى قلوب وأرواح التائقين إلى نغم جديد.

في كل معركة حب

يسقط آلاف الضحايا

هذه القضية الإنسانية التي تقتحم القلوب دون سابق إنذار، أو اختيار، أو تقصّد، تقضّ المضاجع، وتستنزف الدموع.

والشاعرة تقوى مساعدة تلج إليها عبر مسارها الإنساني الراقي، مع أنّها تُبين الطرق التي سار عليها العُشّاق مجتمعين، رجعوا فرادى، لأن الحب أثقلهم، ومزق شملهم، فهو -الحب- الجامع والمشتت. وحاولت الشاعرة الانتشار في قصيدتها لتكشف سوأة الآخر الذي يمن بالعطاء،

* شاعر، عضو هيئة تحرير المجلة - الأردن.

وهو يدمر العواطف.

لعبت الشاعرة في قصيدتها على المفارقات دون إظهار الطرف الثاني، فأظهرت الحب ولم تذكر الكره إلاّ من خلال الفهم فقط، مثلما أظهرت الاجتماع، واللقاء، وأشارت إلى عكس ذلك دون الإتيان بذلك صراحة، والإشارة أفضل كثيرًا من العبارة في كثير من المواقف، والقصيدة طويلة، وفيها انتشار واسع مع أنها تدور حول فكرة واحدة، وهذا لا يتعب النص ولكنه يُفرّعه.

● فوضى: محمد المعايطة

قصيدة "فوضى" تشتمل على ست قصائد قصيرة، أو ستة حقول، تجمعها هذه الشعرية العالية، وتربطها صور متحركة وملونة ومتغايرة.

تبتدئ القصيدة بمحاولة الخروج عن الواقع، أو الممارس أو العادي، وهو الوقوع في شراك الحياة اليومية العبثية التي لا فكاك لنا من سطوتها ولا خلاص. فالدوار الذي يأخذ بأرواحنا ويلفّ بنا في دوائره الضيقة، على وتيرة واحدة. نراه قدرًا لا فكاك منه، أو هكذا يبدو لنا.

دائمًا أرجو الفكاك من الدوار

ودائمًا ألقى ارتطامي

لا فكاك من التعثر في الدوار

ومع أن كلمة -فكاك- قد تكررت مرتين في المقطع الأول، إلاّ أن موسيقاها، ووجود حرف الكاف الرقيق زادها موسيقا، ورقة، والشاعر يبدو في قصيدته ماهرًا في اقتناص الألفاظ الجميلة والرقيقة ويبدو أكثر مهارة في طريقة توظيف هذه الألفاظ وبنائها في هندسة شعرية جميلة، وقد أضاف موسيقا داخلية إلى موسيقا القصيدة الخارجية، وكنت أتمنى لو أن الشاعر، ظل يقود قصيدته في انطلاقتها الأولى، حتى لا يشعر المتلقي بالخروج من مضمارها، فالضمائر على مرمى الحيرة، واللعب عليها ليس أمرًا سهلاً.

● بكائية على جدران الحلم: علاء أبو عواد

غربتي حلمي

وحلمي غربتي

حتى الأبد

الصراع بأشكاله المتعددة يؤجج نفس الشاعر، ويستفزّه، ليكتب حدة الصراع الذي يناوشه وهو يقف على بوابات الحلم.

بلغة جميلة ثرية وبموسيقا منسابة يكتب علاء أبو عواد قصيدته أو تكتبه وهو يقف على حافة وعيه ولا وعيه، فنراه يتدخل كثيرًا في مسار قصيدته المنسابة، والجميلة، وأرى أنه كلما حاول التدخل عبر مسيرتها، كلما أغضبها وجعلها في حالة من التوتر والتشنج، مع أن القصيدة تريد بشفافيتها أن تبحث عن مقامها الصوفي العالي، لترى حالها ولتعبّر عن حاله.

فرحت أبحث عن قناع أرتديه

ورحت أبحث عن مقامي

ولا شك أن تمسّك الشاعر بالقافية التلقائية، قد أعطى القصيدة إيقاعًا إضافيًا، إلا أن الشاعر قد همّه هذا الإيقاع كثيرًا، مما أوقعه في مطبات تأبى القصيدة الوقوع فيها.

لا شك أن الشاعر يملك موهبة عالية، ويملك قدرة لغوية تتسع للقصيدة وتعطيها مساحات أوسع لترسم نفسها في هذه الصور المتوهجة التي تعطي شيئًا متميزًا.

● ثالوث الوجع: ربيع الربيع

العلاقة مع الآخر، صورة لعلاقة الفرد مع المجتمع أو المحيط، وهي من القضايا المهمة والرئيسية التي تنتج فكرًا وأدباً.

والقاصّ ربيع الربيع استمد قصته الثالوثية هذه من خلال نظرته إلى المجتمع، وإلى الواقع، ولهذا فقد ذهب إلى التعميم باستعماله للضمائر الثلاثة، أنا وأنتَ وأنتِ المؤنثة، وإذا كانت هذه الضمائر الثلاثة تُشكّل الجذر التربيعي للضمائر كلها فهذا يعني أن القاصّ قد أراد التعبير عن العام من خلال هذه النظرة الثالوثية.

والمفارقة الجميلة تأتي في الحالة الثالثة، في الوجه الندّي للأنا، والسباق نحو الاستحواذ على الضمير الثالث، الذي يراهن على الكسب والوصول عن أي طريق.

والقاصّ يطرح كثيرًا من الأسئلة الملحة مثل: لكن لِمَ بحثت عنه داخلي؟ إنها تبحث عنه هو، وهذا اللهو أيضًا ضمير غائب غير مسمّى، غير أن القاص يجده في الضمير المقابل للأنا وهو أنت.

إنها لعبة الضمائر الجميلة، والصراع الخفي بين الفرد، وبين ما يحيط به من ضمائر حاضرة أو غائبة، ولو أن القاص توقّف قبل خلاصة الوجع، لترك مزيدًا من الحركة للقارئ، حتى يكتب الخلاصة كما يشاء وكما يتصور.

● هوس: رائدة الشلالفة

سأحمل رعشتي إليك

وأروح

في عالم مثقل بالورد

هي الذات الحالمة بالكينونة والصفاء، الباحثة في طرائق المعلوم والمجهول عن هويتها وصورتها، كما بحثت حواء عن آدم بعد الهبوط، لم يكن بحثها عن شخص ألفته، فما رأت منه إلاّ صورته، ولكن هذه الصورة الأمامية تنعكس فيها صورتها، فترى نفسها، روحها، أما الجسد فهو الوعاء الذي أحاط أو امتلأ بهذه النفس وبهذه الروح.

فاستفزاز الخطى نحوه، نحو الفارس المتخيل في الشخص، هو الحلم الذي ينادي عليها، فتلحق به، بلا وعي وبلا إرادة.

قصيدة "هوس" تحمل كل هذه الدلالات الإنسانية المشحونة بالحلم الذي يكبر وينمو ويبقى أخضر يانعًا، لا يأتيه اليباس ولا تصيبه الشيخوخة.

إنها لغة القصيدة لرائدة الشلالفة، التي تكتب قصيدتها من الداخل، فتسكنها القصيدة وتنمو في تباريحها، ثم تتكون شهوة تسبق خطوتها. والإيقاع الداخلي بانتقاء الكلمات ومجاورتها لبعضها يزيدها عذوبة،



إضافة إلى رسم الصورة المشهدية المكتملة بالخيال القريب البعيد، يستفز خطاي.. نحوك... نحو الترحال لتنزع خوذة الجوع، لتظل القصيدة صاعدة في معراجها.

● شرود: أسماء الملاح

توقف نبض انتظارها عند مفترق الشرود. هكذا تنتهي القصة مع نهاية توقف النبض والشرود، نهاية مفتوحة على احتمالات الموت للمنتظر، لأن المنتظر الآخر قد سقط، فهل سقطت هي وراءه؟ أم أن الحلم نفسه هو الساقط؟

تأخذنا أسماء الملاّح لنشرد في شرودها منذ البداية، مع السرد، مرورًا بالحوارات القديمة المستحدثة والمتجددة بالاسترجاع من الذاكرة.

وصف جميل، بعبارات شعرية سريعة، لكنها مليئة بالتعبير والجمال، والانتظار هو العامل المنشط للديمومة والبقاء، فلا حياة بلا انتظار للآتي الذي نرسمه غالبًا كما نشتهي، وقد يأتي متأخرًا أو لا يأتي، إلاّ أنه يظل النسغ الذي يمدّنا بالطاقة، ويُزودنا بالاشتغال على لحظة أخرى قد تكون أجمل.

قصة جميلة، قصيرة، لا تقبل الزيادات، وترفض المحو والاختصار، بأسلوب جاذب، ومنشط بالتشابيه والصور المرافقة للصورة الأصلية.

مع أن الاختصارات في النهاية دلّت على انفتاح واسع على الاحتمالات، إلاّ أننا لم تبين بعض خيوط المفاجأة. فليتها أعطت قارئها مفتاحًا سحريًا للكشف، ومع ذلك فأسماء تعد دائمًا بالأفضل والأجمل.

● قهوة بنكهة الموت: هيفاء مصطفى نبهاني

لأن الخريطة العربية مجروحة في كل تضاريسها، واستبدلت اللونين الأحمر والرمادي بكل ألوانها القديمة، فقد استدرجتنا القاصة هيفاء في بداية القصة على غفلة، لتنقلنا إلى ما يجري في بغداد، بعد أن ظن القارئ -مثلي- أن الموضوع سوف يؤدي إلى هنا وهناك، ذلك لأن الساحة العراقية ما زالت مغلقة على الخارج، ولا يستطيع من هو خارج الحدث أن يذهب بخياله إلى اقتناص الواقع لتجسيده والبحث في



تفاصيله.

هيفاء قدّمت قصة مليئة بالفجيعة، واستطاعت رسم صورتها بأسلوب هندسي، فحتى المطر الذي يُنظر إليه بأنه بابٌ من أبواب الرحمة والعطاء السماوي، كسرت صورته المعتادة والمألوفة لينسجم مع رؤيتها للموت والقتل، وعلى الرغم من الموت الذي أدى إلى مصرع الشخص إلا أن إرادة التحدي، والأمل، والنظرة إلى المستقبل، ظلت منطلقة من عيني المغدور، الذي سقط برصاصة حاقدة مبهمة، ومجهولة، مثل من أطلقها.

المفاجأة كانت تُعدّ لها القاصة، وكنت أحب أن تكون غامضة، دون الحاجة إلى تهيئة المناخ لها، عندئذٍ ستكون الدهشة مدعاة للجمال والتميز.

● مراهقة: نجلة محمد علي

قوانين الحياة الصارمة، لا تعطي للإنسان وقتًا للانتصارات، فالخسارات دائمًا هي الأقوى، حتى المعارك التي يخوضها الأقوياء، فإنهم -الأقوياء- لا يصلون فيها إلى ساحات الانتصار إلا بمزيد من الخسائر، فكيف يعبر الإنسان رحلته بأقل التكاليف، وبقليل من الألم؟

هذا ما ذهبت نجلة أحمد علي في قصة "مراهقة" إلى بعض أجزائه.

لقد خسرت عفاف حياتها وأملها في الحصول على الشهادة مقابل الخيال الذي رسمته بزواجها من جمال.

ومع أن جمال كان يدرك دائمًا أنه إنسان منتصر في دائرة إيقاعه بكثير من الفتيات والنساء، وأنه استطاع أن يحدّ من حرية عفاف، إلاّ أن غيبوبتها الطويلة كانت بابًا للهروب من واقعها الذي ترفضه، هذه الغيبوبة جعلت من جبروت جمال خيطًا أدق من خيط العنكبوت وأوهى منه كثيرًا.

لقد سقطت سمعته، وانكسرت إرادته، وانتصرت نجلة في قصتها بسردها الجميل، وأسلوبها الرقيق المليء بالعاطفة، والمعبّر عن إحساسها بقيم الإنسانية الضائعة، ومع هذا الجمال الراقي والمليء بالأحاسيس، إلا أن القاصة كان بإمكانها أن تختصر من القصة كثيرًا من الإضافات غير

المهمة، واثقًا أن نجلة سوف تقدم أشياء جميلة ومدهشة ومميزة.

● إلى أمي: أحمد مصطفى المصري

رثاء الأم يبعث في النفس الشجن ويثير العاطفة، وتصبح النفس كسيرة وبليلة، فهي رمز للفداء والعطاء والحنان والعطف وكل الدفء الذي يحلم به الإنسان صغيرًا كان أو كبيرًا.

والمصري يجيد هذا الفن الرثائي، سواء مرّ بالتجربة، أو تخيل وقوعها قبل حدوث المقدر، وما يعنينا هنا هو النص الشعري، من الناحية الفنية، فالقصيدة منسابة على البحر الوافر الذي يُوفر جوًا من البكائية، في الوحدة أو في التواجد الجمعي، ولا شك أن الشاعر لجأ بقصد أو بلا قصد إلى الاستفادة من قاموس العطف والحنين، فجاءت مفردات القصيدة من خلال مفردات منتقاه، صالحة للعزف على أوتار الفجيعة.

لكن الشاعر استنفد قاموسه بسرعة، ولذلك لجأ إلى تكرار كثير من المفردات في سياق القصيدة، فلا يكاد يخلو بيت من القصيدة إلاّ وقد تضمن مفردة سابقة مثل الحنين والفداء والحنان.

والقصيدة العمودية عنوان رئيس للموهبة الشعرية الصادقة والصافية، غير أن الاضطرار الذي أوقع الشاعر في استعمال القافية مرتين في ست أبيات من القصيدة، قلّل من انطلاقة الشاعر، مع أن القافية تناسب المقام وهي طيعة وتنقاد بسهولة، منسجمة مع بحرها، وموسيقاها المنتهية بياء الذات البكائية التي تزيدها رقة وحزنًا.

● حمدان تفو: يوسف حسن ناجي

القلق والشكوى والتذمر من الواقع السلبي، لا تؤدي إلى الخلاص من مرارة هذا الواقع، كما أن معرفة الطبيب لداء المريض، والوقوف عند هذه المعرفة فقط لا يؤدي إلى علاجه، فلا بد إذن من التشخيص ووضع الحلول، أو البحث عن البدائل أو العلاج للمرض، سواء كان عضويًا أو معنويًا.

القاصّ يوسف حسن ناجي يُصوّر في قصته حمدان تفو، بالشخص

نصف المتمرد، فهو يرفض الواقع، ويرفض كل ما يتعلق بهذا الواقع من خسارات ومرارات، وقد تجلى هذا الرفض وهذا التذمر بالبصاق (تفو) فقط، ولم يعمل أي شيء للخروج من المحنة أو السلبيات التي تحيط به، إلاّ أن ذلك قد انقلب عليه صفة ذميمة باسمه.

مع أن القاص حاول في نهاية القصة أن يخرجه من دائرة الشتيمة، ومحاولة التغيير إلاّ أن حمدان قد عاد إلى ما تعود عليه.

القصة جميلة والقارئ ينتظر مفاجآت أو مفارقات أكثر تطرفًا، وأسلوب القاص جيد، غير أنه قد أسهب كثيرًا في تصوير قرف حمدان وتذمره، وكرّر هذا التذمر كثيرًا، وكان بإمكانه أن يكثف ذلك، دون اللجوء إلى الإطالة والتكرار مع أن يوسف كاتب يبشر بالعطاء الجميل دائمًا.

● سراب: فاتن خزاعلة

قصة قصيرة مكثفة إلى حد الوهج، اختارت القاصة اسم الشخصية بدقة وكأنها تريد أن تقول: إن الحياة التي نمرّ بها شبيهة بالسراب، كعنوان القصة، وإن الوجه الآخر الحقيقي لهذه الحياة، هو بعد الموت.

فالصراع الدائم من أجل البقاء، ينتهي غالبًا، وفي لحظة سريعة بمواجهة الواقع القابع فينا منذ النشأة، وهو الموت، والآمال التي نسعى إليها، حتى وإن كانت عريضة، فهي بلا معنى أمام حتمية المواجهة مع المصير.

قصة قصيرة حملت كثيرًا من الحقائق التي نحاول الهروب منها بالتناسي والإمعان في التحديق وراء أوهام السراب وخدائعه.

ولم تذكر النهاية الجنة باسمها ولكنها ذكرت صفة منها، إنها الواحة الخضراء، وتركت وراءها أمها وإخوتها، كما تركت لنا مساحة واسعة من التخيل عن مصيرهم، وهذا من فن القصّ الجميل، مع أنها لم تذكر أيضًا سبب وفاة والدها، أو الكيفية التي مات فيها، إلا أنها أشارت إلى أن الموت قد أخذه أولاً، ويستعد للسلب ثانيًا، والمفاجأة جاءت لها، فلها -للقاصة- موعد مع العطاء القصصي الجميل.

النهر لن يفصلني عنك... للرواشدة

نصّ عابر للأجناس



هند فايز أبو العينين

صدر في أواخر العام الماضي آخر أعمال الكاتب الأردني رمضان الرواشدة. وهو نصٌ نثريّ يقع في ستٍّ وثمانين صفحة. وقد أطلقت عليه دار أزمنة للنشر تصنيف رواية، بيد أن الكاتب نفسه لم يكن واثقًا من هذا التصنيف، كما يتضح لقارىء النصّ.

ويأتي هذا العمل الأدبي المتمرد على أجناس السرد النثري ليكمل نتاج الكاتب الذي بدأه بمجموعة قصصية عام ١٩٨٨ بعنوان "انتفاضة وقصص أخرى"، ثم أتبعها برائعته "الحمراوي" وهي رواية حازت على جائزة نجيب محفوظ للرواية العربية عام ١٩٩٤، وقد تمت ترجمتها إلى اللغة الإنجليزية لاحقًا في دراسة تناولت الرواية كأطروحة للدكتوراة في جامعة أركنسو الأمريكية، كما حوّلت الرواية إلى مسلسل إذاعي بثته الإذاعة الأردنية. وقد تلت الحمراوي مجموعة قصصية هي "تلك الليلة" عام ١٩٩٧، ورواية أخرى هي "أغنية الرعاة" عام ١٩٩٨.

أما العمل الذي نحن بصدد قراءته هنا فهو بعنوان "النهر لن يفصلني عنك"، وهو عملٌ أدبيٌّ ينبىء بثورة روح الكاتِب العربي على كل ما هو ذي قالب في السرد القصصي. هذا فضلاً عن كونه دفقٌ روحانيٌّ شَجِن ينقل القارىء معه إلى حالة الحلم والحنين.

قليلةٌ هي الكتب التي ما أن يصلَ القارىءُ فيها إلى "تمّت"، حتى تسابقُ أصابعُه بعضَها لتفتح البداية في قراءة ثانية وثالثة... وفي كل قراءة يجد نفسه غارقًا في عمق النص في عاطفة لم تأتِ بها القراءة السابقة.

* كاتبة بالعربية والإنجليزية ومترجمة – الأردن.

- **الجنس الأدبي للنص:**

لو حاولنا الابتعاد عن نمطية الفكر في تعريف الفرق بين الرواية والقصة، وذلك من حيث طول السرد وارتباطه بخيط تتابع الأحداث، لوجدنا أن العناصر الأخرى المميّزة لكلا الجنسين لا تشكل فيصلاً إذا ما طُبقت على هذا النص.

فعلى سبيل المثال يسرد الكاتب نصّه المتميز هذا بتتبع مجرى الوعي لشخصية السارد: يوسف بن إسماعيل. واستمرارية هذا التتبع من بداية النص إلى آخره هو أول علامات التمرد على قالب الرواية الاعتيادية. إذ معروفٌ أن مجرى الوعي هو أحد الأدوات السردية التي يستخدمها الرواة في قطع رتابة توالي الأحداث، فيعمد الكاتب إلى استخدامه لاستحضار الماضي تارة، وللولوج في روح الشخوص تارة أخرى، أمّا أن يبني هيكل روايته كاملاً حول مجرى وعي شخصية وحيدة فهذا يقرّبُ النصّ من تعريف القصة القصيرة ويبعده عن الرواية.

هذا في حين أن ما قد يُوحي للناقد بأن هذا النص هو رواية هو القفز الزماني والمكاني في السرد. فرغم أن كل الأحداث والشخوص الأخرى في النص تبدو لقارئها وهميةً ومستقاة من محض خيال السارد إلا أن تعددها وتعدد الشخصيات المتخيلة يجعل من الصعب علينا رفض فرضية الرواية.

فالكاتب استطاع أن ينقل قارئه بين أزمنة وأماكن متعددة، تجعل من العسير الجمع بين فواصل النص إلا بما يُوحّدها من روح السارد. فقد انتقل الكاتب بخيال قارئه بين الأماكن والأزمنة بطريقة تشبه ركوب السيارة الطائرة في رواية هاري بوتر. في لحظة هو يمرّ في مدينة السلام، ويبيت فيها "بلا كهرباء، بلا رنين للهواتف، الداخل مفقود والخارج مفقود وحظر التجوال مازال مستمرا" ص ٢٣، وفي أخرى هو في طريقه إلى قرى الجنوب" حيث القرى المتناثرة التي تفجر في زائرها الحنين" ص ٢٦. وهو في فصل يعايش واقع مدن فلسطين تحت الاحتلال ويقف على مواقع المعارك التي خاضها الجيش الأردني: "رأيت العربات والمدرعات المحترقة في مكانها كما هي منذ عشرات السنين. وشعرت بالحزن يغلف قلبي" ص٤١. وفي آخَر ينقل القارئ إلى متخيله عن واقع عاشه ملكٌ أردنيٌّ نبطي قبل الميلاد: "سنابك الخيل تدكّ مدنهم وبيوتهم وأنا أسير نحوك يا أورسالم... وأنا ظمآنٌ للثأر ممن حاولوا تدنيس مدينتي" ص٥٤.

- **البُنية الفسيفسائية:**

كثيرًا ما يقع الناقد في زلّة افتراض أن السارد هو ظلّ الكاتب، وذلك

لأن الأدب هو تفريغ لنور الروح، وقد تتفاوت قدرة الكُتّاب على تمويه نورهم عن القارئ، إلا أن أحدًا منهم لا يستطيع طمسه كليًّا. لكن الناقد الواعي يقاوم البدء بهذه الفرضية قبل أن يمسك الكتاب موضوع نقده. إلا أن إلغاء فرضية التوحّد بين الكاتب والراوي في هذه الرواية يصبح صعبًا للغاية إذا تعمّقنا في النص.

فمن القراءة الأولى للنصّ نجد أنه مبنيّ على شكل تجميع فسيفسائي لخواطر كُتبت في أوقات متقاربة، لكنها ليست بالضرورة متتالية. ونستدل على التقارب هنا من أن الحالة الروحانية للسارد فيها واحدة، بيد أنها متأثرة بشكل مباشر بعنصر المكان، وبعاطفة قوية تُركَ سببها مفتوحًا للتأويل.

وإذا عمدنا إلى تقسيم النص إلى فواصل، لوجدنا أن الكتاب عبارة عن تسع وثلاثين خاطرة غير مترابطة إلا بتفريغ ذلك النور. ونجد الكاتب يعترف بذلك إذ يقول "خربشت بعضٍ الأوراق قد أسميها رواية، وقد تكون نصاً نثريا لا أعلم. كتبت صفحات كثيرة لا أعلم ما الواصل بينها" ص٧٤.

حتى أن بعضًا من هذه الخواطر نَشَزَ تمامًا عن وحدة الموضوع، وكأنها اقتبست خطأً من مدونة الكاتب الشخصية، كالخاطرة الثلاثين:

"كل شيء هادئ

كل شيء عادي" ص٧٢

والحادية والثلاثين:

"أحبك. أُسميك الحب. فالحب معانقة الطاعة ومباينة المخالفة". ص٧٣

والسادسة والثلاثين:

"الجسد معرفة وحقيقة مطلقة، ولادة وأفول، حياة وموت، مبتدأ وخبر، روح كاملة وماض سحيق وحاضر باهر ومستقبل يفيض حنانًا..." ص٨٠ – ٨٢ ....

وغيرها كثير...

ومن اللافت للاهتمام أن الكاتب عمد إلى استخدام أساليب سردية غير اعتيادية ليعكس واقعية مجرى وعي السارد، أي أنه جعل لغة السارد قابلة للتحول حسب شعوره في الحدث، فاستخدم العامية ولغة المتصوّفة والقصيد النثري واقتباسات شعرية وأقوال مأثورة وحوارات متخيّلة ومناجاة ً للخالق... والعديد مما يساهم في توحيد القارىء بالنص. وهذا التنويع في أساليب السرد أيضًا ساهم في تعرّج بنية النص ورفع صفة التشويق فيه، فالقارىء لا يستطيع التنبؤ بالآتي، لا حدثًا ولا لغةً ولا عاطفة.

ومما هو غير اعتياديّ أيضًا في هذه الرواية أننا إذا حاولنا إعادة ترتيب قطع الفسيفساء المكوِّنة لها فإن الناتج لن

يختلف في عمقه عن الرواية الحالية. فيستطيع القارىء إذا ما عاد إلى الرواية بعد قراءتها الأولى، يستطيع أن يقرأها بشكل عشوائي غير متتال، مادام يحافظ على القراءة داخل وحدات الخواطر. ولا تشبيه لهذا إلا أعمال الفن التشكيلي التي يلمس الناظر جمالها بقوّة دون أن يعرف لها بدايةً أو نهاية، وحتى لو قلب الإطار باتجاهات مختلفة تظل الصورة معبرّة وجميلة. حتى أن بعض فقرات الشعر النثري التي نظمها الكاتب على لسان سارده تحتمل قراءةً عكسيّة –من الأسفل إلى الأعلى– دون أن يمسّ ذلك بمعناها:

هنا مثلاً:

"تصرخ أصوات القبور

ويصرخ فيّ الليل

وأرى وجه أمي في ليل المنافي البعيدة

تطفئ الريح قناديلي

من أين لي مصباح غير وجهك يا أمي

وأنا ما حلمت بغيرك

أخبريني ماذا أفعل" ص٣٨

أو هنا:

"لن يصبح غدي كأمسي

سأكفر بالصمت الظاهر في خشوع

لا أريد الركوع

سأبقى واقفاً بوجه الريح اللعينة

الحب عزمي وعزيمتي

سأمتشق الحب حسامًا كي أقاتل

فالحب طريقي ولن أضل الطريق" ص٤٠

- **الموضوع وبؤرته:**

لعلّ من أكثر ما يجعل هذا الكتاب مغريًا لإعادة القراءة هو تعدد الثيمات المختبئة تحت سرد مجرى الوعي. فحتى لو سلّمنا أن الثيمة الرئيسية في الكتاب هي عمق العلاقة بين الشعبين الفلسطيني والأردني وروحانيتها، فإن النص يأتي أيضًا بثيمات أخرى يشعر قارئها أنها حبيسة النص، ولم يشأ لها الكاتبُ الظهورَ الفاضح.

فهناك مثلاً إشكالية حرية الكتابة التي طالما صرّح بها الرواشدة في مقالاته الصحفية "كل الحرية في العالم لا تكفي نصف كاتب". لنجد أن هذه العبارة مزروعة في مقدمة لنصٍّ تخيّلي رمزيّ، يقول في بدايته: "أردتُ أن أكتب، فخفت أولها ثم أدركت أن كل الحرية في العالم لا تكفي نصف كاتبٍ" ص٥٣. نتابع فنجد أنفسنا أمام مقاطع سينمائية يتخيلها السارد في جلسة في

مقهى، وتحكي قصةَ دفاع ملك أردني من الأنباط عن مدينته الحبيبةً وهي البتراء. ثم يقول:

"في المقهى أُحدّث نفسي أنها استعارة قديمة بالية، ربما هي في ظنك كذلك. يقول قريني. إياك أن تقرأها بواقع يومك الحالي" ص٥٦.

ويستمر بعدها في وصف المعارك التي يخوضها ذلك الملك، ووقوف الرجال النشامى خلفه، ثم يعود إلى نقطة وعي السارد ويقول:

"الزمان مختلف

المكان مختلف

زمانان مختلفان" ص٥٨

ويبدو لنا أن الكاتب لم يكن ينوي بهذا الفصل الرمزي السينمائي أن يفصح للقارىء عن أية أحلام تراوده عن اختلاف الأزمنة والأحوال مُتعمدًا، بل كان بكل بساطة يسكب ما في روحه من ألم أو حسرة ربما، لكن ضمن ما تسمح له الحرية التي يشتكي شحّها.

وثيمة أخرى ترتبط بهذا الدفق الروحاني: هي معضلة تمرد الروح المعرّضة للتدجين.

أيكون أو لا يكون؟

يغزل السارد متخيلة أخرى، هي لقاؤه بتجسيد روحه المتمردة، المرأة ذات المدرقة السوداء التي تعتب عليه: "همتُ عنك زمنًا، وها أنت سائرٌ مثلهم نحو التدجين" ص٤٥. فتغضبه المواجهة، لكنها تذكره بحقيقته. ولا يصعب على القارىء -إذا ما ربط بين ثيمات السرد- أن يعي عمق حكاية التمرد والتدجين.

وثيمة ثالثة هي البحث عن الماضي وأسباب اختلافه عن الحاضر، وهو ما يرمز إليه الكاتب بأسرار الذاكرة.

"هنا يعيدنا المكان إلى الذاكرة والتعاويذ والرهبة وأغنية الموتى. هنا سال دمنا وأقسمنا قسم "الأخوة" أن لا نجعل أحدًا يُخرّب بيننا وأن لا نَخُونَ العهد...".

"من الشرق أتيت وإلى الغرب أتجه بحثًا عما فقدته من أسرار الذاكرة.. إنني أبحث عن الحقيقة في داخلي. "القدرة لله وحده" هكذا هتف قريني" ص٥٠.

ولو كان لكل نص سرديّ بؤرة، تنبع منها الفكرة ويصبّ فيها المراد، فهي في هذا النص "عهد الأخوّة". ويرتبط هذا بعودة الذاكرة التي يبحث السارد عن أسرارها. والأخْوَةُ هم الأردنيون والفلسطينيون إذ كانوا واحدًا في الذاكرة. وبعهدٍ جديد تعاد أُخُوّة

الماضي..

"في محرابك أتلو دعائي الذي يوثّق بيننا ويعيد التأكيد على رباطنا الذي ارتبطنا به منذ القدم....."

أقسم بالله القدير وأنا واقف موقف الخشوع والخضوع في هذا المكان، وأحلف بقدرتك يميناً مقدسة وبشرفي أن أتعهد بالمحافظة على قوانين الإخوة قولاً وفعلاً، وأعتبر أن وضع يدي في يد أخي إعادة للعهود وللأخوية بيننا" ص٥١

"فلتفترق كلّ خلية من جسدي عن أختها إن أنا خنتُ "العهد". ص٦٤

"نصفيّن قلبي لم يزل، وأنا المشظّى بين أمسي وغدي، بين واقعي اليوم، وما بين الحلم الذي أعيشه في بلاد مقدسة جئت إليها بسحري المفتون وغرامي وهيامي بها. ومن حيث أتيت تركت نصف قلبي هناك معلقًا، وها أناذا الآن أسير بنصف قلب. كيف يمكن للإنسان أن يكون منشطراً هكذا؟ إنه ليس الانشطار بل الوحدة التي ترف بأجنحتها حولي أينما توجهت. سواء كنت هناك من حيث يشرق النور من الشرق الجميل أم كان على أعتابها المتضوعة بالحنين إلى شرق جديد، وها هي ذي أضلعي امتدت لهم جسرًا، يُوصل ولا يفصل، يجمع ولا يُفرق... يُوحّد ولا يُشتت. إنه الحب... إنها المحبة... إنه القدر الذي جُبلنا عليه. كيف لي أن أكون شرقيًا وقلبي معلق بهواء أُورسالم، أو أن أكون غربيًا وروحي ما زالت معلقة فوق جبال الشراة؟ " ص٢٧

نصٌ روحانيٌّ يكاد ينفطر له القلب.

- **نصٌ مفتوحٌ للتأويل:**

في أداءٍ لمشهد سينمائي يجسد روايةً لآرنستً همنجواي، جلس الكاتبُ بجانب المخرج يتابع أداء الممثلين لما كتب، فاعترض على أدائهم لإحدى الفقرات مدّعيًا أنه لم يكتب هذا. قال له المخرج "اذهب واقرأ ما كتبتَ"، فذهب همنجواي وبعد أن قرأ عاد وقال" نعم.. ما كتبته يحتمل هذا، لكنه ليس ما قصدته به".

فإذا كانت النصوص الأدبية تحتمل التأويل الشخصيّ حتى إن لم يقصد كاتبُها فتحها لذلك، فكيف بنصّ تعمّد كاتبه فتحه للقارىء فتحًا مبينًا...؟

أعتقد أنه لن يُجمع قارئان اثنان على فهمٍ واحد لمثل هذا النص.

ففي روايتنا هنا تمويه متعمد للمراد بضمير الكاف في (عنكِ) الواردة في عنوان الكتاب. فالعنوان يُخبرنا أن هناك معضلة تعانيها روح السارد، وهي الفصل بينها وبينٍ ما على الضفة الأخرى من النهر: "أيمم نحو الجسر الخشبي اللعين... النهر المقدس عبر آلاف السنين ما عاد يفصل القلب عن القلب" ص ١٤.

إلا أن ماهية المراد عبور النهر لأجله مموّهٌ في عدة مواقع في الرواية. فبعض الفقرات تجزم بأن الراوي يتوق لملاقاة المدينة المقدسة خلف النهر ويحنُّ إليها:

"أسير نحوك أنت مسرى القلب ومعراج الخيال، فانتظريني مهما طال هذا الليل فالنهر لن يفصلني عنك" ص٢٢ .

أمّا إن أراد المتلقي أن يتخيل قصة حبّ فيها فراق ولوعة على حبيبة هجرت إلى ما بعد النهر، فله ذلك أيضًا:

"قال لي: لكنها من قومٍ غير قومنا كيف أحببتها؟

نظرت إليه وتذكّرت أيامي معها. إن لغة العشق لا تعرف التمييز. إنها جزء من كل وأنا كل من جزء فأينّا يا ترى رأى ما سأروي من حكاية لا ترتوي معها ولا تُروى لأحد لم يمسّه بعدُ ضربٌ من الجنون.

قلت له: ألم تسمع بما قاله يحيى بن معاذ؟ سألني وماذا قال؟ قلت له قال "إن مثقال خردلة من الحب أحبُّ إليّ من عبادة سبعينَ عامًا بلا حب".

خبأتُ سارا عن أهلي وأدمنت في قلبي عشقها" ص٤٩

كما استطاع السارد بطريقة خفية أن يُوحي للقارىء أن مشاعره تجاه المدينة المقدسة مندمجة بمشاعره تجاه الأم، وذلك بأن يشير إلى الأولى باسم الأم تكرارًا:

"الآن أُيمم نحو الشمال في رحلة العودة إلى الأم المقدسة" ص٢٦.

"وها أنذا أهمُّ بلثم تراب أرضك يا أُمنّا جميعًا" ص٣٠

وهو يستحضر من ذاكرة طفولته مشاعر الطفل الذي يحنو إلى دفء حضن أمه.

"جسمي يتثلج وقلبي يرتجف حبًا وأحنّ إلى حضنك الدافئ. كنت أهربُ من بين إخوتي التسعة في غرفتنا الضيقة التي كنا نُحشر فيها حشرًا لأندسَّ قربك. رجلي في الجبس وألمي يزداد وأنت تحملينني على كتفك إلى المستشفى" ص١٦.

- **خاتمة:**

هو نصٌ ثائرٌ على أي متوقّع، عصيّ على القولبة أو التنميط. لا نستطيع أن نبعد عن الذهن احتمال أن الكاتب لم يشأه هكذا، بل جعله أقرب ما يكون إلى طبيعة الروح. أما النتيجة فكانت أنه يملأ روح متلقّيه بالحنين إلى ما كان يومًا واقعًا، ووحدةً نمت مع النفس، وإلى الأرض المقدسة، والأم، والحب، وحالة الحب، وكل ما دفق من روح السارد إلينا بإبداع يد الكاتب. وما كُتب من القلب يصل إلى القلب.





النحت في الذاكرة
وبكاء البسومي على الرملة

سعيد حمزة *

إذا لم يُبكك هذا الكاتب فإنه يستدرجك للبكاء، وقد تميل بوجهك نحو اليمين أو نحو الشمال ربما حياءً لتبكي حين تسمع كلماته المتعثرة تخرج من حلقه غصبا، حكايات تُروى وأخرى تُكتب، وأخرى لازالت في الذاكرة تبحث عن فرصة للخروج، إنه النحت في الذاكرة للبحث عن الذكريات المدفونة في الذات، ذات هذا الرجل الذي لازال ينتظر العودة إلى "الرمله" إلى الحلم القديم لتجديد علاقة ربما ظلت أو داس على كل أطرافها قدم الاحتلال.

الذاكرة في رأس هذا الرجل تتدفق كالنبع الذي يتجدد كلما جاء شتاء، فلا ينقطع الدمع.. يظل في جو رطب تتلبد فيه الغيوم سحبا سوداء وحمراء وبعض غيوم بيضاء تحمل آمالا، فيتوقف الدمع قليلاً، لكن العاصفة ما تلبث أن تعود سحبًا كلون القطران فيتجدد الدمع... يخرج الدمع حسرات.

أعود إلى سر البكاء الذي يتدفق بين الحين والحين من عينيّ الكاتب الذي أبصر فوق المكان "الرملة" ورأى كل حدود الوطن المسلوب، ولكن رؤية هذا الكاتب ليست كرؤية سائح يزور مكانًا ويشتاق إليه وقد يشدّه الشوق فيعود إليه ثانية مثلما جاء أول مرة زائرًا، وقد يسيطر الشوق عليه فيعيش بين أحضانه زمنًا يكفي حدّ الارتواء حتى إذا سيطر عليه الحنين إلى الوطن الأصيل يعود إليه متلهفًا أو متشوقًا... يعود إليه كأنه لم يكن قد غادره من قبل، وتتجدد بين أحضانه الذاكرة ثم تتواصل يومًا بعد يوم بعد يوم.

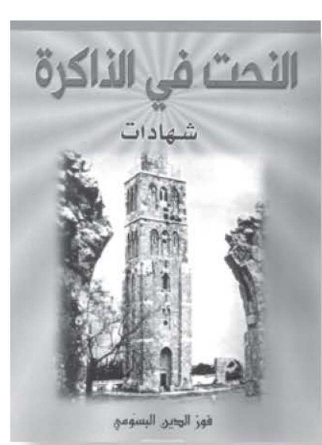
لكنه الرحيل المكبل بالعودة قيد

* من الأقلام الجديدة – الأردن.

الانتظار، فما زالت السنين تزحف ومعها يشتد الحصار ويشتد القمع وتنزف الدماء، وما زالت لعنة الرحيل تدخل بيوت اللاجئين دارا دارا، تحاصرهم وتطوق آمالهم وتطاردهم أينما حلّوا كأنما هم الغرباء.

رؤية هذا الكاتب ظلت تختزن الطفولة وأسماء الحارات والشوارع في "الرملة" وأسماء القرى من حولها، تختزن المنبت حين أطل رأسه من هناك فوجد نفسه يرتوي من حليب أمه ويتربى في حضنها الذي احتضن الوطن، من قمح ترابها ومن مائها ومن هوائها القادم من البحر. سوّت أمه أكتافها وحملت بهذا الكاتب شهور الحمل تأكل وتشرب وتتنفس وتمدّ هذا الطفل بأسباب النمو فينمو مثلما تنمو حبة البرتقال على أغصان شجرة على أرض ثابتة تروى بماء المكان وهوائه الذي ميز طعمها عن سائر الأطعمة الأخرى.

هواء "الرملة" وطعم غذائها وألوان ألوانها مختلف، قد ظل في الذاكرة مختزنًا لكل اللحظات التي كانت هناك في المدرسة والمقهى وفي الشارع والحارة، وفي الأضرحة التي زارها، وفي كل الأسماء التي حفظها، وفي ألوان "القنابيز" المخططة والسراويل السود وفي الطرابيش الحمر وفي العقال والكوفية السوداء، وفي وقفة على ساحل "يافا" ربما داعب شعره الناعم نسيم البحر هناك، ورأت عيناه الشمس وهي تغرب لحين من الزمان ثم رآها وهي تعود وتشرق من جديد، وبين الشروق والغروب وبين مدٍّ وجزر كان الموج يرقص في ظل العتمة حتى يصير الصوت عزفًا بلا انتهاء.



فهل تنسى الذاكرة العزف والظل وصور الأشياء حين يصبح الخروج قسرًا بلا انتهاء..!

وهل تنسى العيون لون الدم والمجازر؟ وهل تنسى أعواد المشانق والرقاب التي تدلت عليها...؟

وهل يصمت صوت المدافع في الآذان؟ فما زال الصدى يحيا رغم فوات السنين لأطفال تصرخ ونساء تبكي وتفرُّ عارية وسط الظلام...!

ما زال شريط الرحيل يحفر في ذاكرة هذا الكاتب بقعًا سوداء لأناس يفرّون من بيوتهم ويتركون كل ما فيها من متاع.. يتركون القمح في سنابله والثمر على أغصان الشجر.. يتركون البهائم تسرح

في العراء في غابة تنتظر الوحش القادم من أصقاع الأرض ليصنع كأسا من دم الأبرياء يتلذذ به حتى الثمالة.

ربما حسب هذا الكاتب أنه يخرج إلى حين ثم يعود، وحسب أن الخيمة التي كانت تنتظره سوف تزول أوتادها بعد حين من الدهر لن يطول، لكنه فوجئ بعد حين وحين وأحيان أن الأوتاد صارت أعمدة ضربت في الأرض كجذور الشجر.

ربما حاول أن يعود وحين تقدم وجد سياجًا وجدارًا يبدأ من الأرض ويتجه إلى الأعلى علوا لم يبلغ مداه، وحين اشتد به الحنين راح مثل الغريب زائرًا تراقبه عيون المحتلين وتدقق على اسمه وهويته وتشير إليه بالدخول، كان حزينًا وكانوا فرحين، وكان عاريًا من كل شيء إلا اللباس، وكانوا مدججين بكل أسلحة القتل والخوف والترهيب حتى إذا وصل إلى "الرملة" وراح إلى بيته وقف كما المتسول، يقتنص النظرة خلسة ويستأذن السارق في جولة في بيته تعود به إلى حين كان صبيًا، هناك تذكّر أمه وهي تنادي عليه وحين فتح فمه وحاول أن يجيب سكت وصمت كصمت المدافع وسكن كالريح الهامدة بعد العاصفة.

كانت كل الطرق مقفلة إلا العيون التي بكت ولا زالت تبكي، وما زالت كل الطرق مقفلة إلا الذاكرة التي تعج بالمواقف والذكريات التي نحت منها الكاتب خلجاته وأحاسيسه التي لم تندثر بل ظلت تتنامى وتتعاظم كلما طال زمن الرحيل واشتد العصف على الذاكرة.

أدعوك إلى الحزن ليظل الحزن جسرًا يوصلك إلى "الرملة" رغم السياج، وإلى فلسطين على الرغم من الجدار، فهي تشتاق إليك مثلما تشتاق إليها وهي تبحث عنك وعن لحظة لقاء لتضمك إلى صدرها بعد الرحيل الطويل، وهي تحبك وتحب ولدك أكثر مما تحبك وتنتظر عودته مهما طال الرحيل.

أدعوك إلى البكاء، فمن يستحق البكاء غير "الرملة"، غير فلسطين.. وأدعو غيرك ممن تشرّدوا قسرًا من وطنهم أن يبكي ويبكي ويبكي.. وأن لا يستغرب المتفرج والمشاهد بكاء الرجال، فهذا الزمن زمن النحت في الذاكرة التي تستحضر المواقف والمشاهد عبر الشاشة فتراها صورًا أو هي في كلمات هذا الكاتب الكبير تقرأها، وتحس بأن البعيد أصبح قريبًا ولكن عبر الخيال والذاكرة... فتبكي.



الصهيونية وخيوط العنكبوت



سلام مراد *

ارتبط اسم الدكتور عبد الوهاب المسيري بالكتابة عن الصهيونية، لأنه من أوائل المتخصصين بالدراسات الصهيونية والسبّاق للبحث فيها، فهو رئيس وحدة الفكر الصهيوني وعضو مجلس الخبراء بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام. وهو أيضًا واضع أكثر من موسوعة عن الصهيونية واليهودية وإسرائيل.

الكتاب الذي بين أيدينا هو "الصهيونية وخيوط العنكبوت" للدكتور المسيري وهو مقالات متنوعة، تتناول الأحداث والظواهر المتعلقة باليهودية والصهيونية.

في الفصل الأول تناول د. المسيري موضوع الديموجرافيا اليهودية بيّن فيها علاقة الديموجرافيا بظهور الصهيونية.

فالدكتور المسيري وضّح دور الجيب الاستيطاني وأهميته الاستراتيجية في الغرب، الذي يقوم على حمايته وضمان أمنه واستمراره طالما أنه يقوم بوظيفته العسكرية.

ولكي يقوم الجيب بوظيفته فإنه يحتاج لمادة بشرية لتقوم بملء المستوطنات والحرب ضد السكان الأصليين من الفلسطينيين والبطش بهم لإخضاعهم. يقول المسيري. إن البعد السكاني (الديموجرافي) مهم للغاية. لأنه لو توقّف تدفق أعضاء الجماعات اليهودية من الخارج، فإن مقدرة الجيب الاستيطاني على أن يقوم بوظيفته ستضعف.

وقد جاء في جريدة هآرتس (٣ ديسمبر ٢٠٠٢) أن سالاي ميرودور، رئيس الوكالة اليهودية وعضو الليكود

* كاتب وباحث - سوريا.

صرح بأنه بدأ يُغيّر آراءه بخصوص فكرة إسرائيل الكبرى لأن ثمة تهديدًا ديموجرافيا داخل إسرائيل؛ فتزايد عدد غير اليهود يهدد مقدرة إسرائيل على التحكم في الأراضي التي احتلتها بعد ٦٧، وهذا الأمر" يؤثر دون شك في سياستنا بخصوص الحدود" على حد قوله، أي أن شعار إسرائيل العظمى أو الكبرى من النيل إلى الفرات، كل هذه الشعارات والأوهام سيلقى بها في سلة المهملات، وهكذا تسقط واحدة من أهم سمات الجيب الاستيطاني الصهيوني، أي اتجاهه التوسعي الدائم، وشراهته لالتهام مزيد من الأراضي الفلسطينية.

طالب ميرودور المؤسسة الحاخامية أن تكون أكثر مرونة في طقوس التهويد لأن معظم المهاجرين الذين يأتون إلى إسرائيل تضم عائلاتهم أعضاء غير يهود. ويبدو أن المؤسسة الحاخامية أدركت مدى عمق الأزمة الديموجرافية، فعلى الرغم من أن اليهودية الأرثوذوكسية أو الحاخامية لم تكن تشجع التهويد في الماضي، إلا أنها في مواجهة الأزمة الديموجرافية، طوّرت شعائر التهويد حتى يمكن تهويد من يريد بشكل سريع.

وفي هذا الإطار قام بعض الحاخامات الأرثوذكس بالسفر إلى بيرو وقاموا بتهويد ٦٠ عائلة من عائلات السكان الأصليين (الهنود الحمر) بشكل سريع ومرن وتمّ نقلهم إلى مستوطنة في الضفة الغربية.

ويصف يوري أفنيري الجيب الاستيطاني الصهيوني بأنه ليس دولة ديموقراطية وإنما دولة ديموغرافية.

وهذا يعود إلى الخوف الصهيوني الخاص من تكاثر أعداد العرب وتناقص أعداد اليهود داخل الدولة الصهيونية، وخوف الصهاينة من زوال ما يسمونه الطابع اليهودي للدولة الصهيونية. ولهذا فإن تناقص عدد اليهود في الخارج وعدم هجرتهم واستيطانهم في الدولة الصهيونية يزيد من قلق الصهاينة.

● هل يصبح اليهود أقلية في "الدولة العبرية"؟

جاءت نتائج التقرير الفلسطيني الذي صدر حول التعداد السكاني للفلسطينيين خلال العام ٢٠٠٣ لتزيد من المخاوف المتأصلة في الكيان الصهيوني بشأن "المشكلة السكانية" فقد أصبح من المألوف أن يشير إليها كثير من الكتّاب والمحللين الإسرائيليين بأنها "قنبلة موقوتة". تهدد مستقبل هذا الكيان وما يسمى "الطبيعة اليهودية لدولة إسرائيل"، ومن ثم فهي أحد العناصر الحاسمة التي تحدد مسار

الصراع العربي الصهيوني.

يعقد التقرير مقارنة بين عدد السكان الفلسطينيين وعدد المستوطنين اليهود، ويورد عددًا من التوقعات بخصوص ما يمكن أن يؤول إليه الوضع السكاني خلال السنوات القادمة. وذلك استنادًا إلى معدلات الزيادة الطبيعية ومعدلات الإنجاب لدى الطرفين؛ فقد أشار التقرير إلى أن عدد الفلسطينيين على أراضي فلسطين التاريخية يبلغ ٤,٧ مليون نسمة، بينما يبلغ عدد اليهود ٥,١ مليون نسمة، وبالاستناد إلى معدلات الإنجاب العالمية عند الفلسطينيين فإن الفروقات ستتضاءل إلى حد كبير في المستقبل.

والصورة تزداد قتامةً بالنسبة إلى الكيان الصهيوني مع حلول العام ٢٠١٠؛ إذ تشير التقديرات إلى أن عدد الفلسطينيين سيصل إلى ٦,٢ مليون نسمة في مقابل ٥,٧ مليون يهودي، وبحلول منتصف العام ٢٠٢٠، سوف تصبح نسبة السكان اليهود حوالي ٤٤٪ فقط من مجموع السكان، إذ يُقدر ألا يزيد عددهم عن ٦,٤ مليون نسمة مقابل ٨,٢ مليون فلسطيني.

ومن الطبيعي أن تُشكّل هذه الأرقام مصدرًا للقلق العميق بالنسبة إلى السياسيين والمُعلّقين والباحثين في الكيان الصهيوني، فهم يرون أن ثمة واقعًا جديدًا يتشكل تدريجيًا، من شأنه أن يقوّض كثيرًا من الأسس التي يستند إليها المشروع الصهيوني برمته.

وتُعدُّ مقولة "الطابع اليهودي لدولة إسرائيل". في مقدمة المقولات الصهيونية التي يشك هذا الواقع الجديد في صلاحيتها وجدواها. فقد تأسس المشروع الصهيوني على إقامة دولة لليهود، ومنح "أرض بلا شعب لشعب بلا وطن"، وظلت الحركة الصهيونية، والقوى الاستعمارية الراعية لها، تُنكر فترة طويلة مجرد وجود الشعب الفلسطيني، ناهيك عن الاعتراف بحقوقه التاريخية، كما ترفض أي شكل من أشكال النقد أو التفنيد للهوية المزعومة لهذه الدولة، وبرأي الدكتور المسيري فإن تحوّل المستوطنين اليهود إلى أقلية في تلك الدولة التي تدعي أنها "دولة يهودية" يطرح أسئلة جدية؛ لا عن مسلك هذه الدولة فحسب بل عن شرعية وجودها أصلاً.

ومن ناحية أخرى، فإن التزايد العددي للفلسطينيين يجعل من الصعب الاستمرار في إهمال حقوقهم القومية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، سواء تعلق الأمر بالفلسطينيين في الضفة الغربية وغزة أو بفلسطينيي عام ١٩٤٨.



إسماعيل مظهر:

من الاشتراكية إلى الإسلام



إبراهيم السواعير *

يقول د. أيوب عيسى أبو دية في كتابه عن تحولات إسماعيل مظهر إن المرحلة الفكرية الأولى لإسماعيل مظهر كانت تحمل بين طياتها بذور المادية الصارمة والعلمانية القاسية، عدا عن النزعات الإلحادية الواضحة التي لم يهادن الرجل فيها على الإطلاق.

غير أن مادية القرنين الثامن عشر، والتاسع عشر، لم تكن ذات نفع يُذكر لا لمصر ولا لإسماعيل مظهر، فكانتا بعيدتين عن الواقع تمامًا... وكان ذلك مدعاة لأن ينسحب ويعود إلى التراث تارة، وخصوصية الفكر المصري تارة أخرى؛ فارتد إلى ذلك جامحًا بفكره وخياله مرة هنا، ومرةً هناك! وكان نشوؤه أرستقراطيًا مثقفًا وسط طبقات تجتاحها النزاعات، وتعصف بها الخلافات؛ فمصر كانت حاضنة لطبقات عدة لم تكتمل شروط نضوجها، ولم تقطع الشوط البعيد الذي قطعته طبقات أوروبا المنظمة فكرًا وعملاً؛ فحزب الوفد والإخوان كانا يسيران على طرفي نقيض، في حين أن البرجوازية المركزية لم تخبو نارها مع أعدائها التقليديين وعلى رأسهم الإقطاع الذي كان وجوده في فترة تطلعت فيها برجوازية المركز للوصول إلى نهضة تاريخية تتخذ من مشروع البرجوازية الغربية في عصر النهضة مثلاً أعلى تهتدي بهداه، وتتوق للوصول إلى مستواه.

في ظل ذلك تأججت لدى إسماعيل مظهر نوازع التغيير التاريخي تبعًا لما تتطلبه المرحلة الحرجة التي تنوء مصر بحمل تبعاتها في مطلع القرن العشرين، فحمل الإقطاع والاستعمار مسؤولية الإنتاج الإقطاعي غير المنظم، واحتذى

* كاتب وروائي يعمل في الصحافة – الأردن.

بما توفر أمامه من مشاريع نهضوية، لعل أغلبها -إن لم يكن الوحيد- المشروع النهضوي الأوروبي، فصاغه "أنموذجًا" يعمل له في ظل فلسفة تتأثر بالفلاسفة الإنجليز، بل تميل لأن تصبح نسخة طبق الأصل عن فرنسيس بيكون، وجون لوك، وغيرهم من المفكرين.

وهو، وإن كانت تلهب حواسه الحماسة الوطنية التي اكتسبها واستمدها من الحزب الوطني ومؤيديه، فإنه كان طموحًا لدرجة أنه رفض رئاسة حزب الوفد في ظل طبقات تشتعل جذوتها حينًا، وتخبو حينًا آخر في مسرح دام من الصراع والنزاع.

وكان مشتركًا إلى حد بعيد مع فكر العقاد، وسلامة موسى، وغيرهم في أن الانسياق والتبعية المرتبطة بالنظام الرأسمالي العالمي، إنما هي إذكاء للتخلف وتنمية له.

وفي تبيّن ملامح فكره نجد أنه قد خطا خطوات واسعة في فكره المادي العلماني الداروني، غير أن هذا الجموح لم يلبث أن خمدت حدّته فتوقف عن الكتابة حتى عام ١٩٤٥، ثم عزز إنتاجه بعد ذلك. ويمكن أن يُعزى هذا الخمود الفكري إلى الكساد العظيم في الثلاثينيات، وظهور الأحزاب الشوفينية الأوروبية في ألمانيا وإيطاليا، والتحضير للحرب القريبة، والتحالف مع الإنجليز لخوض غمارها العصيب.

خرجت الدول المتحاربة منهكة، وخلّفت آثارها دامية في البلاد والبشر، فبدأت بوادر الانعتاق الفكري بالظهور، وبدأ المشروع الفكري لإسماعيل مظهر بالانحراف قليلاً عما كان عليه، ومن جملة ذلك تعويله على ثقافة تقليدية لتاريخ العرب والمصريين القدماء دون أن ينسلخ عن فكره المادي القديم، ولعل التحول الطفيف كان بسبب ما ألحقته الحرب من دمار.

فقد عاش الرجل ثلاث صدمات متتالية: الأولى كانت الحضارة الغربية وثقافتها التنويرية النهضوية، والثانية كانت الواقع الموضوعي المصري الذي لم يدع الأفكار تنفلت من عقالها إلى التنفيذ، والثالثة كانت بشاعة الحرب وآثارها... فاتجه إلى التراث ليخفف من حدة مادية الحضارة العالمية، ويعيدها إلى إنسانيتها، على الأقل في فكره.

وهنا فإن المناخ العام سياسيًا وعالميًا، والحرب الباردة، والتفجير النووي السوفياتي في مطلع الخمسينيات، وثورة الضباط الأحرار وحرب السويس و... كل ذلك كان له ما وراءه.

والبحث في الفكر المادي ليس من السهولة بحيث نلغي عصوره التي نشأ فيها، أو نتفق على شروط معدودة لذلك؛ فالنظرية النيوتونية (المصاغة في القرن السابع عشر في إنجلترا) مرتبطة بفرضياتها كالزمان المطلق، والمكان المطلق، والفراغ المملوء بالذرات الديمقريطسية... سرعان ما تتوقف وتنهار حين نتحدث عن حركة داخل الذرة، أو عندما يقترب الجسم من سرعة الضوء، وهكذا.

والمادية كذلك؛ ففرضياتها المصاغة لها حدود هي الأخرى، فليس ثمة اتفاق على تعريفات واضحة وجامعة لها في تاريخها الطويل: فهناك المادي المؤمن والمادي الملحد، وهناك الطبيعي الذي لا يختلف عن الأخير إلا من حيث طرح الروح كأساس للوجود المادي، فهو يترك المادة تعمل من خلال قوانينها الذاتية أيضًا.

ويلخص ما سبق قولنا إن المادية لا بد أنها تطورت تاريخيًا، ولا بد من دراسات تُعرّف المادية في إشكالياتها الحديثة.

كانت ماديته أقرب إلى مادية القرن التاسع عشر، والقرن العشرين، منها إلى مادية القرن السابع عشر في إنجلترا، وإن تلونت في كثير من المواقف بـ "اللاأدرية" أو اكتنفت واتحدت مع وحدة الوجود عند "سبينوزا" وذلك ضمن تكتيك يتبعه مظهر عندما يحسّ بالجور والمغالاة، أو أن ذلك يمس المشاعر العامة لدى الناس، فكان ينسب إلى عالم معروف أو فيلسوف مشهور.

كانت مسائل نشوء الكون، ودبيب الحياة الأولى في الجماد، والمادة وظواهرها... مسائل يحافظ إسماعيل مظهر على مواقفه منها، مع بعض التباين في مراحل فكرية متتالية؛ فبعد عام ١٩٤٥ تفادى الحديث عن مسائل نشوء الكون ودبيب الحياة الأولى في الجماد، وراح يتحدث عن الأبعاد الغائية للمادة؛ فهو عندما يترجم كتاب "حياة الروح في ضوء العلم" يقرر أن هذا البعد الغائي ليس سوى حدث مادي جاء في سياق تطور تاريخي سحيق ارتبط بتطور البشرية،... فظلت المادية منسجمة مع المنهج المادي الذي يؤمن به إلى حد كبير.

وفيما يخص مسائل العلم الاجتماعي؛ فقد كان الرجل انطولوجيًا ماديًا يتلمس ما يمكن اقتباسه عن الغرب؛ فاللغة الفصحى والعامية كانتا على درجة متساوية في فكره حتى نهاية عام ١٩٣٠م، فقد تأثر بالاتجاه

العلماني الأوروبي والتركي، وتأثر كذلك بما نادى به أحمد لطفي السيد وقاسم أمين بخصوص سيادة اللغة العامية، وإلغاء الإعراب تمهيدًا للاتصال والثقافة وتنامي الحضارات.

كان ذلك كله مستمدًا من الغرب وبالتحديد من التجربة الأوروبية (الفرنسية والإنجليزية) في الكتابة والتعبير، فكانت النهضة الأوروبية "أنموذجًا" يجب القياس عليه. وكان يتبع أسلوبًا مع رفاقه ملهبًا للحماس الجماهيري؛ فمصر ذات لغة عامية هي أساس اللغة العربية،... وتاريخ مصر لا ينكره إنسان.

وفي أواخر عام ١٩٤٨، قام بوضع ما يعرف بالنحت في اللغة وذلك في مرحلته الفكرية الثانية موافقًا لمن يشتغلون بالمجامع العربية في أنها – اللغة العربية– قادرة على استيعاب كل جديد... هذا الجهد المفاجئ قاد رفاقه من مثل سلامة موسى إلى الانتصار للغة من جديد، فظهرت الترجمات والنقل أو "التلخيص" الفكري على غرار المشروعات التي قام بها فرانسيس بيكون، وغيره.

لم يستمر الحال كما هو عليه؛ فالواقع الموضوعي للغة أصعب بكثير من حبسها في مسار معين، عدا عن أن المثال الأوروبي كان عسير المنال ويصعب تكراره كما هو؛ فتراجع عن ذلك، وسوّغ ذلك بأنه كان فقط لتهيئة الجو للنقل عن الآخر.

وفي مسائل "النشوئية" كانت مواقفه تمتد ثم تعود أدراجها دون خط سير واضح؛ فهو يطالب بأن يكون منهج النظرية أساسًا في تطوير الدين الإسلامي حفاظًا عليه من التقوقع والاندثار،... ثم نراه بعد فترة طويلة من حمله للواء الدارونية والفصل بين العلم والدين، وبين الدولة والدين يعود ليرفع من شأن الثقافة العربية، ويطالب بالمعرفة الروحية للإسلام دون المعرفة الغيبية المنغلقة... وفي عام ١٩٦١ نراه يعود بشكل ليس معهودًا عنه للقول بأن الفصل بين الدولة والدين ليس له ما يسوّغه وأنه لا يجوز!... وهذا معناه وضع الإسلام بديلاً للأنظمة الاجتماعية الغربية من جديد.

ويمكن القول إن انتهاء الحرب الثانية كان سببًا في لفته الانتباه إلى الثقافة المصرية التقليدية، مع حربه الباردة على الشيوعية في كتابيه: "التكافل الاشتراكي لا الشيوعية" و "الإسلام لا الشيوعية". ومن الملاحظ أن مرحلة ما بعد الحرب تضمنّت تسوية من نوع ما

مع الواقع المعاش؛ فالتغيرات الوطنية أثبتت عدم جدواها، وانبنى على ذلك النظر إلى النموذج الغربي المثال نظرة الاتهام والفشل، فكان لا بد في خضم ذلك من اتجاه جديد لدى العديد من المفكرين، هذا الاتجاه لم يكن سوى "العودة إلى التراث".

وإسماعيل مظهر، ومن هذا المنطلق – العودة إلى التراث- كان ذا جرأة لم تتوفر لمن قبله في دراسة تاريخ الفكر العربي والتراث؛ فقد فسر الدين تفسيرًا موضوعيًا غير أنه ومع إدراكه لوظيفة الدين المهمة، فقد شكك في كثير من الأحاديث، وكان هجومه على القرآن وطريقة جمعه هجومًا صاخبًا؛ فلم يأمر الرسول -ص- بجمعه، وذلك أدعى للاجتهاد على حد تعبيره!

ومع هذا، فقد سعى في الفترة الأخيرة من فكره في عام ١٩٤٦ إلى محاولة الدمج بين الطبقات، تحسبًا واحتياطًا من صراعات طبقية لا تحمد عُقباها.

وحاول في نهاية الأربعينيات أن يوفّق بين الاشتراكية والرأسمالية عن طريق واحد وهو التكامل الاشتراكي بين الفرد والمجتمع ، ولكن ذلك لم يكن باليسير، فعاد يمدح النظام السياسي الإسلامي في بداية الستينيات.

وبالإجمال، فلكل مرحلة فكرية لديه عنوان:

فالأولى كان عنوانها "الحرية الدينية" تأسيسًا على المشروع الأوروبي الذي سيطر عليه، والثانية أجبرته على الاتجاه نحو مفهوم "التسامح الديني" الذي لم يستطع أن يتعداه في ظل الظروف المحيطة، والثالثة خصوصية الثقافة المصرية وأنها لا يمكن أن تبنى بسهولة على المقاييس الأوروبية المجاورة.

ويمكن القول إن حياته الفكرية كانت ذات انعطافات وتحولات تتأثر بما حولها وتستجيب له: فقد كان الفشل الذريع الذي مُني به وهو يسعى للاحتذاء بالنموذج الأوروبي حينما ثبت عدم جدواه كفيلاً بأن ينسحب إلى الفلسفة المادية ويرتد إليها... ولما لم يجد منها نفعًا كبيرًا اتجه إلى عالم المثل والتراث.

• إسماعيل مظهر من الاشتراكية إلى الإسلام – د. أيوب عيسى أبو دية، دار ورد للطباعة والنشر عام ٢٠٠٥.



الفنان محمد حنّون:

من القصة إلى التصوير ثم الإخراج



حوار: عمر أبو الهيجاء *

تمر علينا هذا الأيام الذكرى التاسعة والخمسون لنكبة فلسطين، ذكرى أكبر عملية سلب أرض وتهجير شعب عرفها التاريخ وعرفتها البشرية، ففي الخامس عشر من أيار عام 1948 تم تهجير وتشريد الفلسطينيين من أرضهم، وذلك من خلال تزوير الحقائق والتاريخ والجغرافيا، إذ يحتفل الكيان الصهيوني بإعلان دولته المصطنعة، بينما الشعب الفلسطيني يستذكر بألم وفجيعة هذا اليوم المشؤوم الذي تم فيه اقتلاعه من أرضه.

وفي هذه المناسبة وضمن هذا السياق التقيت الفنان والقاص والمصور الفوتوغرافي والمخرج محمد حنّون وحاورته حول تجربته الإخراجية لفيلم (الرحيل باتجاه العودة) الذي يتحدث عن قضية اللاجئين وحق العودة في إطار مشروع التحرير، وحول أفلامه الأخرى وحول قضايا التصوير والفن القصصي وعلاقته بالإخراج السينمائي.

• عرف محمد حنون كمصور فوتوغرافي وقاص، والآن قمت بإنتاج وإخراج أربعة أفلام منها الوثائقي والتسجيلي والقصير، ما هي العلاقة بين التصوير الفوتوغرافي والإخراج وكتابة القصة؟

– العلاقة ما بين التصوير الفوتوغرافي والإخراج السينمائي وكتابة القصة هي علاقة تكاملية بكل ما تحمله الكلمة من معنى؛ فالمخرج الذي لا يغوص في ثنايا النص وتفاصيله التي يعمل عليها أو المخرج الذي لا يختار زوايا التصوير، ويكتفي بالإخراج، ينقصه بعض الأدوات الفنية والتقنية ليكون قادرًا على إخراج فيلم بصورة مرضية له وللمشاهد، بمعنى أن يترك بصمات واضحة له.

لقد خدمني جدًا تعاملي مع كتابة القصة القصيرة والتصوير الفوتوغرافي لإعطاء رؤية أعمق لما أُريد قوله في الفيلم إخراجيًا، وأدوات كتابة القصة تُشبه بشكل أو بآخر أدوات المخرج مع اختلاف المادة، أي أن كاتب القصة يعمل على إخراج قصته كتابةً. أما المخرج فيقوم بإخراجها بشكل مرئي ضمن حوارات في إطار بصري.

• مؤخرًا قمت بإخراج وإنتاج وتصوير أكثر من فيلم، ما الجديد والمختلف في طرح هذه الأفلام التي يتعلق بعضها بالقضية الفلسطينية؟

– بالنسبة لفيلم (الرحيل باتجاه العودة) والذي أتوقع الانتهاء منه في هذا العام ٢٠٠٧ هو فيلمٌ ليس تاريخيًا، بل يتناول قضية عودة اللاجئين إلى فلسطين التاريخية في إطار مشروع التحرير، وفي هذا الفيلم أيضًا رؤية مغايرة لحقّ العودة في إطار ما يسمى بالقرارات الدولية وشرعية الأمم المتحدة إذ إن أحد أهداف الفيلم إدانة حجم التزييف والتضليل في ما يسمى بقرارات العودة التي صدرت عن الأمم المتحدة، فهذا الفيلم يعتمد بالمطلق على قرار الشعب الفلسطيني بالعودة إلى أرضه سيدًا عليها، وليس مواطنًا في دولة مصطنعة، وعبر المتحدثين من أبناء الشتات الفلسطيني الذي لا يقيم وزنًا للأكاذيب المتعلقة بالقرارات الدولية.

أما بخصوص فيلم (الفن العراقي: ذاكرة وأفق) فهو نوع من الأفلام التسجيلية يتناول دور الفن العراقي والفنان العراقي في مقاومة المحتل الأمريكي لبلاد الرافدين عبر أدوات الفن التشكيلي، وقد عملت في فيلم قصير جدًا وهو مستوحى من بعض

* شاعر له عدة دواوين يعمل في الصحافة – الأردن.

نصوص الكاتب المبدع والمميز محمد طمليه حمل عنوان (أتابع ما لا يجري) وتابعت بعد ذلك العمل على فيلم قصير جدًا بعنوان (ضجر) قام بأداء الشخصية فيه الفنان والكاتب رائد عيسى "أبو زهرة" وتدور قصة وسيناريو الفيلم حول مواطن عربي عادي جدًا يعيش بعض التفاصيل اليومية التي يعيشها أي مواطن عربي من حيث متابعة الأخبار وما يجري في العالم العربي من تناقضات وهزائم وانكسارات متلاحقة.

• تعمل الآن على تأسيس مؤسسة إنتاجية للأفلام في الأردن، ما هي حيثيات هذه المؤسسة ومشاريعها؟

– ستبدأ هذه المؤسسة بحجم متواضع جدًا وسوف يكون عملها إنتاج الأفلام الوثائقية والأفلام القصيرة. بالنسبة للأفلام القصيرة أسعى أن تكون السيناريوهات المستخدمة فيها مأخوذة عن قصص قصيرة لمبدعينا، بحيث تلامس هذه القصص الواقع العربي المعيش بتفاصيله اليومية. أما الفيلم الوثائقي فسيكون متنوعًا بين الثقافي والسياسي والاجتماعي، وآمل من خلال هذه المؤسسة أن تتخطى إطار الفيلم القصير والوثائقي وأن تنتج أفلامًا روائية ووثائقية طويلة.

• في مجال التصوير الفوتوغرافي، كنت مهتمًا بمشروع بعنوان (مبدعون في صوامعهم) أين وصل هذا المشروع؟

– هذا المشروع كان جديدًا من نوعه فوتوغرافيًا ولا يزال قائمًا وأطمح من خلاله أن أُكوّن أنطولوجيا فوتوغرافية لكُتّاب وفناني الوطن العربي، لكن هذا المشروع أصبح مشروعي الذي سيأخذ جهدًا ووقتًا طويلاً، علمًا بأنني قمت بإنجاز الكثير منه، وصورت العديد من رموز الثقافة في وطننا العربي.

محمد حنّون

• كتبت القصة القصيرة ونشرت العديد من القصص في الصحافة، لماذا لم تفكر حتى الآن بإصدار مجموعتك الأولى؟

– الفكرة موجودة وليس هناك من سبب يُذكر لعدم صدور أية مجموعة لي، لكني مؤخرًا قمت بجمع ما كتبته، وها أنا على أعتاب إصدار مجموعتي القصصية وقد تكون الأخيرة.

• لماذا..؟

– لأنني أكرس نفسي الآن لتحويل أي قصة أفكر بها إلى سيناريو معدّ للتصوير والإخراج سواء لي أو لغيري.





النحات الفلسطيني أحمد كنعان:

الدفاع عن الهوية بالمنجز النحتي

رسمي الجراح *

عندما شرع الفنان الفلسطيني أحمد كنعان في مسيرته الفنية لم يشأ الذهاب إلى ما هو مبهم وعصيّ على الفهم لدى المتلقي، ولم يبتعد عن الأرض التي حرث فيها أجداده في فلسطين وبلاد الشام ومشوا رحلة التعب والضنك فلم يذهب إلى التجريد مثلما فعل البعض، لذلك أبى إلاّ أن يبقى لصيقًا بالأرض وينطلق من أداتها الأولى المحاريث وهي مجموعته الأولى التي أنجزها إبّان كان طالبًا في السنة الأخيرة في أكاديمية بتساليل، عندما رسم خطوط المحاريث وما بها من ثراء في التصميم لمن ابتكرها. من هنا عاد يجسدها بالمنحوتة واللوحة والجدارية.

يعتمد الفنان الفلسطيني أحمد كنعان الميثولوجيا والحكايات الشعبية والتعاويذ والمفردة الحياتية من القرى مادةً بصرية لمنحوتاته، إلى جانب مفردات أخرى يُؤثث بها فضاءه البصري، ويستقي من البيوت العتيقة في بلاد الشام ومن طقوس الحياة، الزراعة، الصيد، الأعراس، والزخارف الإسلامية شواهد نحتية أخرى .

يُعدّ الفنان كنعان من الفنانين الأكثر إنتاجًا، فهو دائم الإنجاز وأزميله لا يتوقف عن النحت في جسد الخامات باحثًا ومنقبًا عن الشكل الجديد والإبداعي المغذي لبصرية المتلقي، ليكشف العلاقات المتعددة للشكل وللخامة.

يعمد كنعان إلى خامات مختلفة، وهو فنان يعشق التنويع ويزاوج بين الرسم والنحت لكن المجال الأخير يغلب على إنتاج الفنان، والبنائية عنده تبدأ من فكرة ومواد بسيطة لكن رسائل كل عمل عميقة ودالة، وهي مستقاة من واقع يومي معاش على تماس

---

* فنان وناقد تشكيلي، يعمل في الصحافة – الأردن.

مع المتلقي وغير منقطع عن التراث والهوية الشرقية.

يأتي تناول الفنان للمحاريث ذلك العمل المكون من مجموعة من المجسمات النحتية المنفذة بخامتي الحديد والخشب، ومتنوعة التصميم، وهي تدمج بين فكرة الثلاثي المنتج، الباني للحياة: الإنسان المفكر، والحيوان العامل، والأرض الحاضنة لعملية تجري يوميًا، جسّدها الفنان بتكوينات متنوعة تُؤشر على طقس عريق يعيش صراعًا مع الماكينة والتكنولوجيا، ورسالة الفنان صريحة هي الانتماء لكل ما هو أصيل، وعملية النحت عند الفنان عشق بصري للشكل العتيق وانتماء للمكان الغني بالصورة والخطوط والفضاء.

والبناء الفني عند الفنان لمجموعة المحاريث بسيط قريب من شكل المحراث التقليدي. وللفراغ واستخدام الكتل الهندسية المفرغة علاقات جاذبة للمرئي، لكنه يترك للمتلقي في بعض الأجزاء إيحاءات من أجزاء ابتكرها وابتعد فيها عن الشكل التقليدي، ويهتم بثقل وثبات مادة الحديد ورسوخها، فيما الخشب يُؤشر على الليونة في المنحنيات الخطوطية والأشكال المنبسطة.

للفنان منحوتات كثيرة ومغروسة في العديد من الميادين في العواصم العربية منها في بلده: طائر يشرب الماء من جرة، وبراق، وفزّاعات خشبية، وقوارب صيد كنعانية الهوية والملمح، وزنابق متفتحة، وأشكال خرافية، وأبواب عتيقة لبيوت هجرها أهلها، وغيرها من المنجزات النحتية التي يُركّز فيها الفنان على علاقة الإنسان بالزمن وبفكرة الحرية، النماء، الحكمة من الأسطورة والقصة الشعبية.

يُعدُّ الفنان كنعان فنانًا جريئًا لتوظيفه لخامات غير متوافقة في منجز واحد كما في منحوتة التهجير، والمعروضة للعامة في العاصمة الأردنية عمان، يستخدم فيها الحجر والألمنيوم وهي تحكي قصة التهجير وترمز إلى البيت والأرض وحلم العودة.

الفنان كنعان لم يشأ أن يكون بعيدًا عن البيئة المحيطة، فكان آخر إنجازاته في مجال النحت البيئي، تماثيل ومنحوتات من الحجر عبارة عن بصلات الأزهار والزنابق على شكل مقاعد للجلوس، وهي تصاميم مندمجة مع البيئة، وهي على تماس مع الجمهور للتفاعل معها بسبب استخدامه المباشر لها.

الفنان كنعان متواصل مع تراثه ومحيطه الذي يُعبر عنه بصدق وأمانة وينقل رسائل أبرزها الدفاع عن الهوية بالمنجز النحتي، ومنحوتاته تفتح عين المتلقي على الأشياء من جديد.

كنعان مواليد طمرة في فلسطين عام ١٩٦٥، درس في مرسم الفنان خليل ريّان وفي أكاديمية بتساليل في القدس عام ١٩٨٥، حصل على جائزة صندوق الثقافة شريت، يعمل حاليًا مدرسًا لمادة النحت في المعهد العربي في سخنين من أراضي عام ١٩٤٨.

أقام عددًا من المعارض الفردية واشترك في عشرات المعارض والمحترفات والورش الفنية في مختلف أنحاء العالم.

سميثونيان أكبر متاحف العالم:

يضم ١٤٢ مليون قطعة فنية

التحرير

يعدّ معهد سميثونيان أكبر مجمّع للمتاحف في العالم؛ إذ يضم بين جنباته ستة عشر متحفًا ومعرضًا، بالإضافة إلى حديقة حيوانات وطنية، ومراكز أبحاث ومعاهد متخصصة. وتضم متاحف معهد سميثونيان أكثر من ١٤٢ مليون قطعة فنية وأثرية.





تأسس المعهد عام ١٨٤٦م بأموال وصيّة مقدمة للشعب الأمريكي من العالم الإنجليزي جيمس سميثون، ليكون مركزًا للأبحاث، وتدريس الفنون والعلوم والتاريخ، وتثقيف الشعب وتقديم الخدمات له.

ومعظم أقسام المعهد ومتاحفه تقع في واشنطن العاصمة التي تضم متاحف وصفوفًا دراسية وحديقة حيوانات وطنية، أما في نيويورك فيقع مركز كوبر هيويت ومتحف التصميم الوطني والمتحف الوطني للهنود.

ومن المراكز التابعة للمعهد:

- معهد سميثونيان

للعلوم والفنون والدراسات الإنسانية.

– المحطة البحرية في قاعدة بيرس حيث تُجرى أبحاث في علوم البحار.

– مركز المراقبة الفلكية الذي يقوم بأبحاث تتعلق بعلم الفلك والفيزياء الفلكية والفيزياء الجغرافية، وعلوم الفضاء بشكل عام.

– مركز أبحاث البيئة الذي يدرس التغييرات الكيميائية والجرثومية وتفاعلها في الجوّ والرواسب المائية والتذبذبات الصوتية.

– معهد الأبحاث الاستوائية الذي يقوم بأبحاث رئيسية عن البيئة وطبيعة التغيرات الاستوائية.

– المعرض المتنقل، وهو عبارة عن معرض متنقل بين المتاحف والجامعات والمراكز العامة لعرض الأعمال العلمية والتاريخية والفنية.

– منشورات سميثونيان: منشورات متنوعة ومرتبطة بالمعهد، لعرض الأعمال الفنية والبرامج



والخبرات مع المراكز الثقافية الأخرى ومنها:

• مجلة سميثونيان وهي مجلة شهرية تنشر مقالات في الفن والتاريخ والعلوم.

• مجلة الطيران والفضاء تصدر كل شهرين، وتهتم بأبحاث الطيران والفضاء.

• مطبوعة سيمثونيان: تقدم فيها برامج سفر ومحاضرات ودروس عمّا يجري في المناطق الأمريكية المختلفة من نشاطات.

• صحافة المعهد، تصدر كتبًا عن الاهتمامات العامة والمتخصصة.





• التسجيلات الشعبية: تصدر تسجيلات تعرض صور الحياة التقليدية.

• المتحف الوطني للتاريخ الأمريكي – مركز بيرنغ يعرض معدات ضخمة، من الآلات والقطارات والسيارات التي تبثُّ الحياة في التاريخ الأمريكي.

• متحف التاريخ الطبيعي: الذي يضم الأعمال العلمية، وحديقة الحشرات الفريدة من نوعها، وقسم الديناصورات وقاعات الجيولوجيا.

• متحف البريد الوطني

• حديقة الحيوانات الوطنية

• مبنى الصناعات والفنون

• متحف اكتشف آسيا

• متحف التماثيل

• متحف الفضاء الوطني

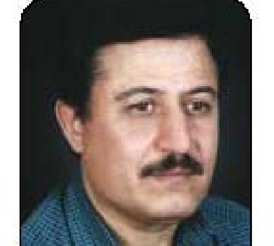
• المتحف الوطني للفنون الأفريقية

• معرض الصور الوطني

• معرض الفنون الأمريكية

• معرض ريثويك للفنون الأمريكية





غازي النعيم*

التشكيليون الشباب:

الفنان أحمد شاويش:

ريشة مخلصة للإنسان والطبيعة

يعد الفنان التشكيلي "أحمد أبو شاويش" المولود في عمان عام ١٩٧٠م، واحدًا من أبرز الفنانين الشباب في الأردن، حيث استطاع خلال رحلته التشكيلية، أن يبتدع لنفسه حالة خاصة فيها الكثير من الإبداع، هذه الحالة بدأ يدركها منذ نعومة أظفاره، عندما بدأ يشعر بأن هناك شيئًا ما يشدّه للفن، ولسبب غامض كان يمدّ يده إلى الألوان ليرسم على الورق ما رأته عيناه بالمحيط الذي كان يعيش فيه، وخلال مراحل الدراسة الابتدائية أظهر اهتمامًا ملحوظًا بحصص التربية الفنية، حيث كان يتفوق على زملائه في الرسم، وكانت رسوماته تنفذ بخطوط واضحة المعالم، بل إن تلك الرسوم كانت تُعلق في مرسم المدرسة، وصارت تنال الإطراء والتشجيع ممن حوله، وبشكل خاص من مدرس مادة التربية الفنية في مدرسة الوكالة بالجوفة، الأستاذ (عاطف)، الذي لعب دورًا مهمًا في تشجيعه، وفي توفير المواد الفنية، ودفعه لتجريب عدد من الخامات في إنجاز رسوماته، ومنها لوحته التي فازت بالمركز الأول في المعرض الذي أقامه نادي شباب الوحدات.

* ناقد وتشكيلي – الأردن.

ذلك الفوز الذي حققه وهو في الصف السابع، دفعه إلى بذل المزيد من الجهد، وأتاح له أن يشارك بفعالية في المعارض والمسابقات التي تنظمها مدارس وكالة الغوث الدولية على مدار العام محليًا وخارجيًا، كما كان بمثابة نقطة الانطلاق الأولى نحو اقتحام عالم الفن.



مع تطور مراحل الدراسة -المرحلة الثانوية- تطورت موهبته الفنية، وأخذ يعبر عن رؤيته الملتزمة في الفن بصدق ودون ادعاء، فلجأ إلى رسم لوحات لافتة، هي عبارة عن دراسات في أعمال تنتمي إلى المدرسة السريالية، تناول الفنان على مسطحاتها مضامين إنسانية وموضوعات متعلقة بالقضية الفلسطينية، وذلك من خلال الاعتماد على بعض الرموز والإشارات الدالة.

وأيضًا كان يقوم بنقل لوحات لكبار الفنانين العالميين، وكان لعملية النقل دور مهم في تدريب أحمد على الرسم والتلوين، لكنه أدرك في هذه المرحلة أن للفن أبعادًا لا يزال يجهلها وعليه أن يدركها، وأن يتعلمها فقرر الانتساب إلى دورات متخصصة بالفنون من ناحية، ومن ناحية أخرى التركيز على القراءة في تاريخ الفن والحضارات والأساطير وسيرة حياة الفنانين العالميين، مع الحرص على متابعة المعارض الفنية وتجارب زملائه.

بعد هذه الخطوات، أدرك أحمد شاويش أن مشوار الفن يحتاج إلى الكثير من الصبر، وأن الموهبة وحدها لا تكفي، لذلك التحق بعد الثانوية العامة بكلية الفنون الجميلة بجامعة اليرموك في إربد، وهناك تتاح له الفرصة كي يطرح أسئلته المقلقة حول جدوى الفن ومفهومه بالنسبة للفنان، وعاش قلقا في المنهج، أو بالأحرى: قلقا باختيار المنهج التعبيري للرسم بعد أن جرّب عدة مدارس، ولقد أجاب الفنان عن بعض ما كان يدور في ذهنه خلال السنة الدراسية الأخيرة، عندما بدأ يبحث ويجرب، واستطاع بمثابرته واجتهاده أن يلفت الانتباه



الفنان أحمد شاويش



تظهر اللوحة الفنية لدى أحمد شاويش كعمل مدروس مبني على أسس سليمة وخلفية أكاديمية بشكل صحيح، سواء في الرؤية أو في المعالجة التشكيلية

الفنان الشاب "احمد شاويش" يشق مسالكه الخاصة، وتعرَّف في العام الذي تخرج فيه -١٩٩٣- على الفنان الدكتور "حسني أبو كريم" الذي لمس لديه الموهبة والطموح فشجعه على الالتحاق بمرسمه، الذي كان بمثابة المدرسة التي تعلم فيها "شاويش" صنعة الرسم بالأقلام، والألوان الزيتية، والألوان المائية، والأخيرة هي خامة شرقية بالدرجة الأولى، لها تاريخ يرجع إلى أكثر من ٥٠٠ عام، استخدمها العرب في رسم المخطوطات والصور الجدارية، وهي خامة تتطلب من الفنان الجهد حتى يستفيد من مزاياها في نواحي الشفافية، وشكل البقع اللونية، والتدرج والاختلاط، والنضارة، كما تعلم الفنان ما يسمى "المدرك الجمالي للمرئيات" وتهيئة



إلى رؤيته التعبيرية في رسم الإنسان والطبيعة الصامتة، والمنظر الطبيعي، ونجح في أن يستخلص من تلك الرؤية قيمًا خاصة بالنسبة للخط واللون والتكوين.

لكن ما تعلمه في كلية الفنون عن المدارس وآخر الصيحات الفنية لم يكن يلبي ميوله وأفكاره في الفن، وبناءً على ذلك بدأ



القالب الذي يجسد فيه رؤاه، واكتسب خبرة لونية وخطية مهمة انعكست على أعماله الواقعية اللاحقة من ناحية أخرى.

وهكذا وجد الفنان الشاب "أحمد شاويش" في مرسم "د. حسني أبو كريم" الإجابة الشافية على كل ما كان يدور في ذهنه من أسئلة عندما تجاوز القلق لصالح البحث الفني..

من هنا بدأت تتبلور لديه اللوحة الفنية كعمل مدروس مهني على أسس سليمة وخلفية أكاديمية بشكل صحيح، سواء في الرؤية أو في المعالجة التشكيلية، حيث بدأت تتحرك أنامله على المسطح الأبيض بثقة، بعد أن اختار ما يربط فرشاته وألوانه به، وبدأت اللمسة السحرية التي ورثها عن د. حسني أبو كريم تضئ، وأصبح له خصوصيته، ولم يعد الفن عنده مجرد حدوتة صغيرة أو كبيرة، بل أصبح أبعد من ذلك بكثير.. لذلك لم ينشغل باله أبدًا بالشهرة بقدر ما كان ينشغل بالجلوس إلى ألوانه وأوراقه وأقلامه، ليصور دهشته ورؤاه للحقول والأشجار والقرى الأردنية.. التي تنهض بالمعاني والأفكار في سلسلة من اللوحات البديعة.. وإذا لم يتسع الوقت للتلوين، كان يكتفي برسم دراسة سريعة للمنظر.. ثم يستكمل رسمه في البيت من الخيال.

بعد تخرجه في كلية الفنون عام ١٩٩٣م، درّس مساقات الرسم والتصوير الزيتي في كلية الخوارزمي من عام ٩٣ إلى ١٩٩٤، ثم عين في عام ١٩٩٤ مدرسًا للتربية الفنية في منطقة عمان الثانية، وفي عام ١٩٩٥ كان مسئول نشاط وزارة التربية والتعليم، ومدرسًا للرسم والتصوير الزيتي في مركز نون من عام ٩٨ إلى ٢٠٠٠، كل ذلك جعله قريبًا من أدواته الفنية المختلفة.

خلال هذه السنوات لم يلتفت الفنان إلى تراكم تجربته ولوحاته من أجل عرضها إلا

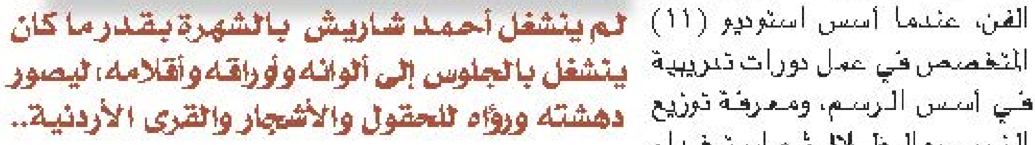


في عام ١٩٩٥ عندما أقام معرضه الأول في صالة رابطة الفنانين التشكيليين الأردنيين، وبعد أربع سنوات، أقام معرضه الثاني في صالة المركز الثقافي الفرنسي.

ويمكن اعتبار عام ٢٠٠١ نقطة تحول في تجربة هذا الفنان المندفع بأفكار النجاح والطموح وتعميم الفن، عندما أسس استوديو (١١) المتخصص في عمل دورات تدريبية في أسس الرسم، ومعرفة توزيع النسب والظلال ثم استخدام الألوان الزيتية والمائية وغير ذلك من التقنيات، ويمكن القول إن الدور الذي لعبه وما زال يلعبه أحمد شاويش في تدريب هواة الفن وإعدادهم للمستقبل في الأردن مهم جدًا، حيث بدأنا نشاهد طلابه يشاركون في الكثير من المعارض الفنية، وفي عام ٢٠٠٥ سجل الفنان أحمد شاويش ببرنامج الماجستير في جامعة اليرموك، وهذا لم يمنعه من أن يواصل مشواره التشكيلي سواء على الصعيد المحلي أو الخارجي، وكان آخرها مشاركته إلى جانب أستاذه الفنان د. حسني أبو كريم في سيمبوزيوم التصوير والنحت بدبي، والذي أقيم في ٢٠٠٧/١/١٢م.

وتجربة الفنان أحمد شاويش تتوزع إلى ثلاث مجموعات رئيسيات هي:

المجموعة الأولى: أول ما يلفت نظرنا في هذه المجموعة هو ذلك الإنسان الذي رسمه في مواجهة الحياة بأسلوب واقعي سعيًا لتحقيق التعبير عن روح الموضوع من خلال الاهتمام بالضوء والظل في سبيل تأكيد الجانب التعبيري، والإحساس الجمالي في



لم ينشغل أحمد شاريش بالشهرة بقدر ما كان ينشغل بالجلوس إلى ألوانه وأوراقه وأقلامه، ليصور دهشته ورؤاه للحقول والأشجار والقرى الأردنية..

بناء العمل ككل، سواء أكان من ناحية جلسة الموديل المحورية في اللوحة، والتي تعبر عن الإحساس بالضياع والحزن والعجز، أو من ناحية الالتزام بالتفاصيل التشريحية، ولا تخلو أي لوحة له من علاقة محاورة بين الوجه وأيدي مشخصاته الموضوعة سواء فوق الفخذ أو الركبة، مع اختلاف كل لوحة عن الأخرى بأسلوب متميز.

والمدقق في البورتريهات أو الوجوه التي رسمها، يلاحظ أنها تعبر عن مرآة النفس كما عكستها نفس الفنان لتلمس الواقع لهاشًا من المبادئ الإنسانية الراقية، بالإضافة إلى أنها وجوه تعبر عن جمال كامن خلف ملامحها، حيث تشعرنا بوجودها من خلال جمود الحركة وصرامة الملامح، ورغم تلك الصرامة إلا أن الفنان أكد على المدلول الداخلي في التعبير والنزعة التركيبية.

وبرغم استخدامه للمنظور والضوء والظل لتجسيم عناصر الوجه الإنساني مثل: الخدين والجبهة والشعر ومعالم الأنف والعينين، وما يحمله الوجه من تعبير.. فقد أشاع الفنان



المدقق في البورتريهات أو الوجوه التي رسمها، يلاحظ أنها تعبر عن مرآة النفس كما عكستها نفس الفنان لتلبس الواقع لباسًا من المبادئ الإنسانية الراقية

بروحه المتأملة من خلال التضاد اللوني بين الأبيض والأسود، والفراغ والكتلة، صفة السكون والحركة في بورتريهاته.

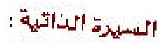
أما بالنسبة لأجسام مشخصاته -بحركاتها المختلفة سواء كانت مستلقية أو جالسة أو واقفة- فقد رسمها بخطوط جريئة مما يزيدها تعبيرية ويجعلها تبرز إلى الأمام بكل شموخ على نحو يوحي بقوة البناء في لوحاته.

اللغة التعبيرية لدى الفنان في هذه المجموعة تصل لحسّ المتلقي في بلاغة متناهية، مما جعله يحقق قدرًا من التفرد وبراعة بالأداء وخصوصية في الرؤية.

المجموعة الثانية: احتوت على (تصاويره) للطبيعة الصامتة القائمة على علاقات الأشكال والألوان والملامس، حيث صاغ الفنان منها عالمًا فريدًا في خصوصيته وبنائياته التشكيلية الجميلة، من خلال إبداع خطوط متناغمة تحصر داخلها مفرداته التي تتكون من: (الأواني، والأباريق، والأكواب الزجاجية والفخارية، وسلال القش، والزهور، والفواكه، ولمبات الكاز، وقطع الأقمشة المتعددة الألوان، بثنياتها وتكوّمها والتفافها حول بعضها).

تلك العناصر البصرية، والحاملة تعبيرات مختلفة ومتعددة، هي من أحب الموضوعات لدى الفنان، وأكثرها ترددًا في أعماله، ومن هذا المنطلق صبغ الفنان أحمد شاويش تكويناته للطبيعة الصامتة بصبغة شاعرية، وأسقط عليها مشاعره عندما اختزل التفاصيل والدرجات اللونية، واستخدم المساحات الواسعة ذات الألوان المتناغمة والصافية بطريقة رمزية لتعبر عن الأبعاد الوجدانية له كما في لوحة (عباد الشمس) ولوحة (أزهار الزنبق).

المجموعة الثالثة: وتضم المناظر الطبيعية التي أبدعها الفنان أثناء قيامه برحلات لبعض المناطق في الأردن، مثل البقعة، ومرصع، وسلحوب، وزي، والمأمونية، ومادبا.. ومناطق



- أحمد شاويش
- مواليد عمان ١٩٧٠.
- بكالوريوس فنون جميلة ١٩٩٣.
- تتلمذ على يد الدكتور الفنان حسني أبو كريم.
- درّس مساقات الرسم والتصوير الزيتي في كلية الخوارزمي ١٩٩٣-١٩٩٤.
- درّس مادة الرسم في الكلية العلمية ١٩٩٤-١٩٩٥.
- درّس مادة الرسم وكان مسئول نشاط وزارة التربية والتعليم ١٩٩٥.
- مدرسًا للرسم والتصوير الزيتي في مركز نون ١٩٩٨-٢٠٠٠.
- مؤسسًا ومدرسًا لمادة الرسم والتصوير في استوديو ١١.

المعارض الشخصية :

- رابطة الفنانين التشكيليين.
- المركز الثقافي الفرنسي.

المعارض الجماعية :

- معرض أجيال ١٩٩٨.
- معرض المعلم الفنان ١٩٩٩-٢٠٠٣.
- معرض حموارابي - مجموعة من الفنانين العرب ١٩٩٩.
- معرض الفنانين الشباب قطر ٢٠٠٣.
- سيمبوزيوم دبي الدولي ٢٠٠٧.

أخرى،

حيث كان يقوم بالتنقل بوساطة سيارته، وفي كل رحلة كان يقوم برسم المناظر الطبيعية، ليكشف عن رؤيته الواقعية، ولكن هذه الواقعية ليست بمعنى المحاكاة أو التقليد، وإنما الخلق والابتكار.

واللافت في مجموعته هذه تنقله الدائم بين اللوحة الزيتية، واللوحة المائية البديعة، حيث تحتوي الأخيرة على حرفية واضحة وشفافية لا نظير لها اليوم في حركتنا التشكيلية الشابة، مستخدمًا تقنية الفاتح والداكن، مع عدم التزامه بقواعد المنظور





ولا العناية بالتفاصيل الدقيقة للمنظر الطبيعي، وهنا جمع الفنان في المناظر التي رسمها بين المشهد التأثري.. والمشهد التأملي، وذهب بالمشهد إلى أقصى احتمالات الإيجاز والاختصار في تكويناته اللونية والشكلية، دون أن يتخلى عن روح المشهد المستمد من الواقع، والذي يحمل ملامح الطبيعة المستقاة من المشاعر.

إن الضربات اللونية المتتابعة والحاملة خلاصة بحوثه التقنية في هذه المجموعة تعطي لوحاته الدفق التعبيري المطلوب وتبقي إيقاعاته اللونية الدالة عليه، التي تكشف لنا عن حب الفنان للطبيعة وسحرها الفذ. لهذا كان أحمد شاويش من أكثر الفنانين الأردنيين الشباب إخلاصا لبحثه الفني العميق الذي يظهر الاتجاه الأكاديمي الذي هو أسلوبه الشخصي، كما أن مهارته لا تكمن في دراسته للطبيعة، والطبيعة الصامتة فحسب، بل في بعض التفاصيل، ومنها بشكل خاص دراسته للصور الشخصية لبلوغ دواخلها العميقة.

أخيرًا نستخلص من سيرة وتجربة هذا الفنان المبدع، الذي عرف كيف يوظف قدراته في مكانها الصحيح، درسًا واضحًا: أن تجربته منذ طفولته وحتى الآن ما تزال حيوية ونشطة.. وستقضي بنتائج لافتة للنظر خلال السنوات المقبلة، وهي جديرة بالدراسة.





عزمي خميس

أجناس أدبية جديدة

المبدعون في شتى أنحاء العالم، وفي مختلف الحقب التاريخية، هم الذين اجترحوا الأجناس الأدبية، وأُطر التعبير المعروفة حاليًا من قصة ورواية، وشعر، وسير ذاتية، وغيرها، ومن المؤكد أن المبدعين لم يكن يعنيهم أن يُسمّوا كتاباتهم أية تسمية، فالهدف الأول للمبدع هو التعبير عن نفسه، وعمّا في داخلها من مشاعر وأفكار ورؤى بالصيغة التي يطمئن إليها.

لكن الذي كان وما يزال يتولى مهمة التصنيف والتجنيس ووضع الأُطر، واستخلاص القواعد والشروط، والتقييم لهذه الكتابات هو الناقد.

ومن الطبيعي أن تتبدل أشكال الكتابة، وتتغير إطاراتها بتبدل الأحوال، وتغيّر الأزمان والظروف، ولهذا تختفي أشكال من الكتابة وتظهر أخرى في المراحل الزمنية المتعاقبة.

فلقد اختفت من الكتابة العربية، أشكال عديدة كانت معروفة ومنتشرة مثل المنامات، والمقامات، والنثر الفني، والرسائل والأزجال، والموشحات، والوصايا والتوقيعات، وظهرت أشكال أخرى لم تكن معروفة، كالقصة القصيرة، والرواية، والمسرحية، وقصيدة التفعيلة، وقصيدة النثر، ومعظم هذه الأشكال ظهرت في السنوات المائة الأخيرة، وفي النصف الثاني منها بشكل خاص.

وخلال السنوات القليلة الماضية، ومع بداية الألفية الجديدة، بدأت تظهر أشكال كتابية جديدة غير مألوفة، أو هي تطوير كبير على أشكال أدبية معروفة، أو مزج لأكثر من جنس أدبي في إطار كتابي جديد، وجدت تعبيراتها في نتاجات عدد من المبدعين الشباب.

فهناك تداخل بين الرواية والسيرة الذاتية والشعر نلمحه في كتابات نوال العلي مثلاً كما ظهرت في كتابها "سيرة النائم".

وهناك شكل جديد من الكتابة يشبه الحكم المكثفة التي جاءت بلغة شاعرية وصور فنية عدا عن مراميها ومضامينها العميقة، تبدّت في كتاب "ليلة اكتمال الذئب" لمهند العزب.

كما أن كتابات الشابة حنين داود تبدو عابرة لقصيدة النثر ذاتها لاشتمالها على بوح ذاتي قريب من السيرة الداخلية، أو المونولوج، مع محاورة الذات بشكل فلسفي قريب من التأملات.

هذه مجرد نماذج على بروز أشكال جديدة من الكتابة، ليس لها من اسم أو صفة، حتى كتّابها حاروا في تسمية نصوصهم هذه، رغم أنهم بالتأكيد أحبوها لأنها عبّرت عنهم، وهذا هو المهم.

كما أن الأشكال والأجناس المعروفة كالرواية والقصة، تشهد إضافات وتطويرات وتطعيمًا بأجناس أخرى كالشعر، والسيرة الذاتية، والمقالة، والوثيقة،... الخ.

لا أحد يعلم يقينًا أي الأجناس الأدبية المعروفة حاليًا سيبقى وأيها سيختفي في المستقبل القريب أو البعيد.

لكن المؤكد أن الإبداع الحقيقي النابع من موهبة أصيلة أكثر قدرة على الاستمرار والبقاء والخلود، خاصة إذا كان ذا مضمون إنساني لا يتغيّر بتغيّر الزمان أو المكان.